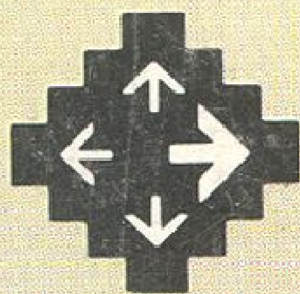
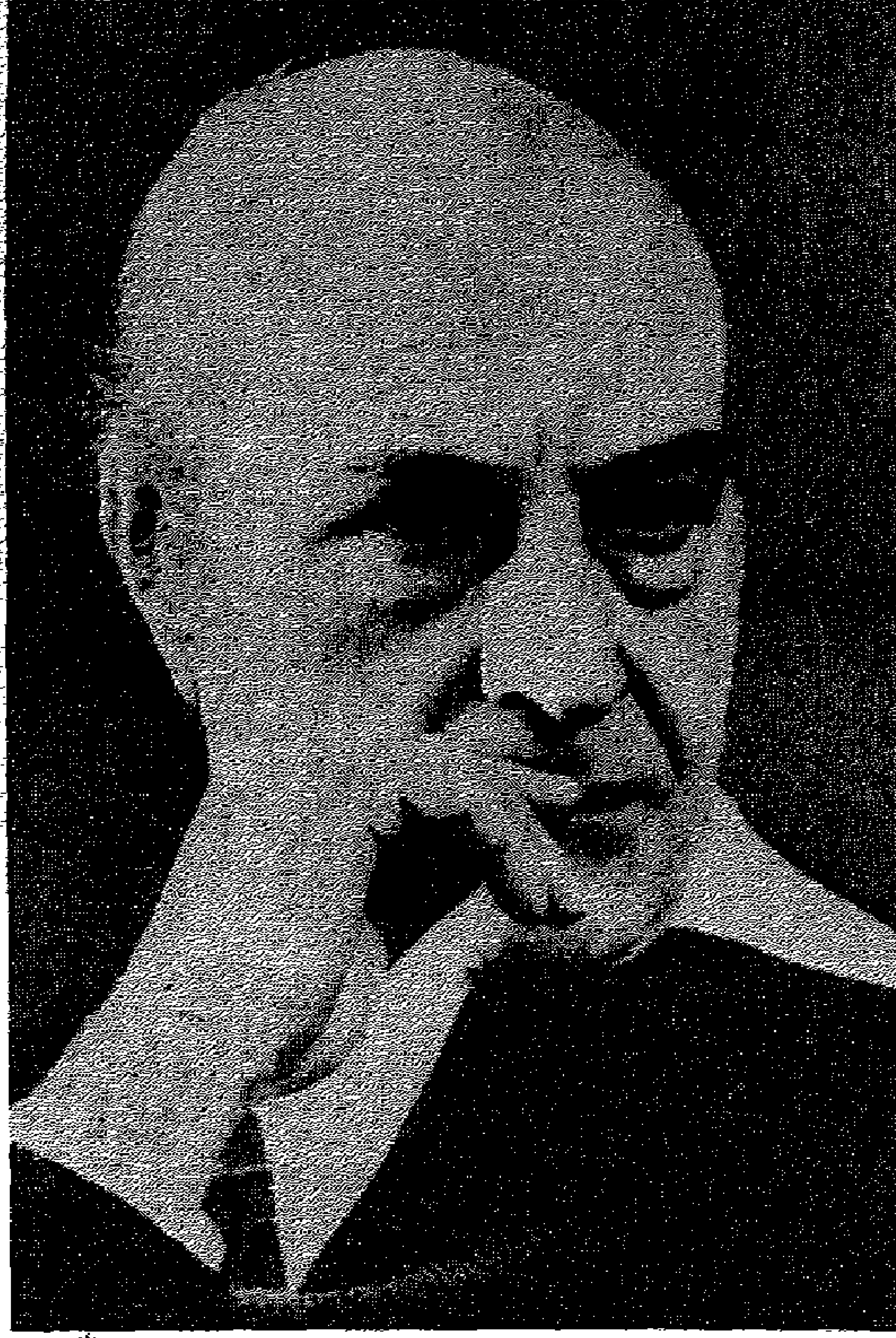


عيون الأدب الأجنبي

إيليتيس

الشمس المهيمنة

ترجمة: محمد عفيفي مطر



ولد في إيراكيلون (كريت) ١٩١١ . ترك دراسة الحقوق بجامعة آثينا (١٩٣٥) . قدمه سارانديس في نفس العام إلى جماعة «الآداب الحديثة»، التي كانت نقطة ارتكاز لكل جديد في الشعر والنثر. ١٩٣٦ نشر أول دواوينه «توجهات»، ثم «ساعة المجهول الرملية» ١٩٣٧، و«في التعبد للصيف» ١٩٣٩ . وفي عام ١٩٥٩ صدرت سيمفونيته الشعرية الهائلة «له المجد» التي قدمت المنجز الأشمل لأفكاره الدينية والفلسفية، ومغامراته الشكلية اللغوية، ومواقفه الوطنية والعالمية . انضم إلى صفوف المقاومة ضد الاحتلال النازي لليونان (١٩٤١ - ١٩٤٤) . انتقل إلى باريس ليدرس الأدب بالسوربون (١٩٦٩ - ١٩٧١) والتقى هناك بكبار الفنانين والأدباء. حصل على جائزة الدولة في الشعر عن «له المجد» ١٩٦٠، ووسام الفينيق ١٩٦٥، ومنحة مؤسسة فورد ١٩٧٢، ورفض الجائزة القومية الكبرى للأدب ١٩٧٣، وأخيراً فاز بجائزة نوبل ١٩٧٩ .

الشمس المهيمنة

هذه ترجمة كاملة لكتاب:

The Sovereign Sun:
selected poems
Odysseus Elytis
Bloodaxe Books, 1990

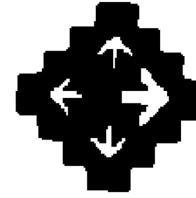
الشمس المهيمنة: "قصائد مختارة"

أوديسيوس إيليتس

(جائزة نوبل ١٩٧٩)

ترجمة : محمد عفيفي مطر

الطبعة العربية الأولى ١٩٩٨



دار شرقيات للنشر والتوزيع

٥ ش محمد صدقي، هدى شعراوي

الرقم البريدي، ١١١١١ باب اللوق ، القاهرة

ت : ٣٩٠٢٩١٣

س.ت : ٣٦٩١٩٨

غلاف وإخراج: ذات حسين

لوحة الغلاف : خشخاش أحمر

إميل نولدي

رقم الإيداع : ٩٧/٨٨٤

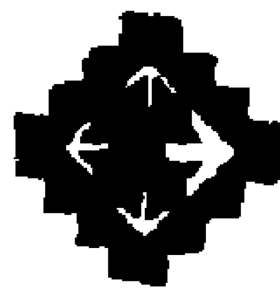
الترقيم الدولي : ISBN 977 - 283 - 057 - 4

الشمس المهيمنة

١٩١١ ـ

أوديسيوس إيليتيس

ترجمة: محمد عفيفي مطر



دار شرقيات للنشر والتوزيع

بين يدي الترجمة العربية

للحمق بَدَوات ونزوات لا تُبرَّر، ولا يمكن الدفاع عنها، هكذا أقول لنفسي وأنا أسأل قبل أن يسألني أحد: لماذا أوقعت نفسك في ورطة هذه الخيانة المثلثة؟! يعرف الجميع خيانة ترجمة الشعر، ويعرف الشاعر عنها ما لا يعرفه الجميع، أما الخيانة الثانية فهي خيانة الاعتماد على لغة وسيطة تبعد النص المنقول خطوتين أكثر إيغالاً في البعد عن أصله الجوهري، وأما الخيانة الثالثة فهي ورطة التصدي للترجمة عن اللغة الوسيطة- وهي هنا الإنجليزية المتأمركة- بينما يوجد من هو أقدر وأعمق تفقهاً وأشد مراساً وممارسة، فما الذي أوقعك- أيها الشاعر- في مشتبك هذه الخيانات؟ قلت لنفسي: هذا هو فرض الكفاية ما دامت قد أُهملت فروضُ العين من النَّقَلَة والمترجمين، إن يكن جهد مقل فهو شرف محاولة، وإن تكن قطرة من بحر القصائد ففي ملحها طعم الدليل وإشارة البلاغ وتلويحة العابر وخطفة النظر، وإن تكن تهوُّرَ جرأةٍ أو وقاحةَ اقتحام، فإنها إثارة وإغراء للقادرين الفقهاء العالمين بأن يفتحوا نوافذ ما يعرفون من لغات على تراث الدنيا ليكون في العربية من ثقافات الأمم والشعوب في مشارق الأرض ومغاربها ما يثري ويفجر الحوار ويؤكد المكانة والمكان على خارطة الحياة والإنسان الناطق المبدع.

لم أكن أعرف شيئاً عن الشاعر ولا مكانته بين شعراء قومه أو بين جماهير المثقفين في أوروبا، وفي أعقاب قراءتي لبعض أشعاري أمام جماعات من محبي الشعر في كافالا (قولة) وسالونيك وأثينا، وألقيت مترجمة إلى اللغة اليونانية - عبر لغة وسيطة أيضاً- عبرَّ بعض المستمعين عن وجود قواسم مشتركة من ملامح القرابة الشعرية بين قصائدي وقصائد شاعرين يونانيين هما أوديسيوس إيليتس وأندرياس امبريكوس، قلت: أنداد ونظراء على شواطئ بحر، وأصحاب قضايا متشابهة ومتدافعة عبر الماضي والحاضر، وذبيحتان على نار واحدة هي نار التواريخ وجمرات الشارات والغايات الحياشة، وحينما علمت أن أوديسيوس إيليتس قد فاز بجائزة نوبل سنة ١٩٧٩، أدركت أن وراء الفوز - علاوة على عبقرية الشاعر واستحقاقه - انغماساً وإلحاحاً على قضايا الصراع الوطني والقومي وانحيازاً خاصاً- أكاد أشمه في كل شيء- في مشتبك الصراع اليوناني العثماني والتركي، وقلت متحفزاً: فلتعرف مزيداً من التواريخ الحية التي تخفى وتبين وراء مجمل العصر الحديث لحوض البحر المتوسط، بحر الآلام والشارات والدم، فبلادك على ثغر منه، وأنت من الثغر على رباط بين مرابطين.

لم يخب توقعي ولا ظني، وخوّضت في زلق هذه الخيانة المثلثة، مترجماً لمجموعة القصائد المختارة من دواوين أوديسيوس إيليتس التي ترجمها عن اليونانية واحد ممن كرسوا حياتهم للشعر اليوناني الحديث ترجمة ودراسة وتأريخاً، البروفيسور كيمون فريار Kimon Friar، وقدم لها بدراسة ممتعة أقوم هنا بتقديم ترجمة وتلخيص لها، وبتصرف

تقتضيه حاجة القارئ العربي على الرغم من كراهيتي للمقدمات في دواوين الشعر، وهي مقدمة ضافية وتفصيلية، تحلل الدواوين التي اختيرت منها القصائد، وتربط مسيرة الشاعر بالحياة، ومسيرة الشعر بالأحداث، ومسيرة الأحداث بالتاريخ السياسي والثقافي الخ.

وإذا كان الزمار يموت وأصابعه تلعب، فإنني أقدم التجربة كلها بدوافع تربوية وتعليمية، عسى أن يخجل الصغار أو يستشعروا بعض الخزي من دمامة وقماءة الادعاءات المعاصرة في تقاتل الأجيال، وقتل الأب، والبدء من خارج التاريخ والجغرافيا،واحتقار التراث واللغة، ووهم البدء من نقطة الصفر، وصفاقة الزهو بالانخلاع من كل ما يربط الشاعر والقصيدة بهول الأحداث وعواصف الدم والنار ومشاهد البؤس اليومي وانفساح الحياة بالطبيعة وجذور الانتماءات ومكابدة الإنسان، مع الإلحاح على درس التربية الثقافية والفنية وخوض تجربة النظر العميق إلى معترك الحوار الجاد في العالم كشرط من شروط الإبداع في هذا الزمن، زمن محاولة إعادة صياغة العالم صياغة جديدة تجتاحها دعوات الصدام والكوكبة وبطش القوة التي تحرص على التعبد في محراب ذاتها.ومصالحها لاقتلاع شعوب الأرض من ملامحها وذواتها.

مقدمة الترجمة الإنجليزية

للبروفيسور كيمون فريار Kimon Friar

١- توجهـات

ولـد أوديسيوس أليبوذيليس Odysseus Alepoudhélis لأبوين متحدرين من جزيرة ليسبوس في بحر إيجة، والده ابن واحد من ملاك الأرض الأثرياء، تملكته رغبة في أن ينشئ له عملاً خاصاً به، فترك الجزيرة في شبابه الباكر قاصدا جزيرة كريت، حيث أنشأ شركة ناجحة جدًا لصناعه الصابون، وبعد عودة خاطفة إلى ليسبوس ليتزوج، عاد بزوجه إلى كريت، وهناك ولد أوديسيوس- الأخ الأصغر لستة من الأبناء- في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١١ في المدينة القديمة "إيراكليون" بالقرب من أطلال كنوسوس المينوية، وعلى الرغم من أن أسرته قد تركت كريت عشية الحرب العالمية الأولى لتستقر في أثينا (حيث التحق بالدراسة بين سنة ١٩١٧ - ١٩٢٨) إلا أن الشاب الصغير أحس بالاعتزاز العميق بمولده الكريتي وأصوله الليسبوسية. وإذا كان لنا أن نصل بين هذه المراكز الثلاثة بخط مستقيم: ليسبوس- إيراكليون- أثينا، فسوف نجد مثلثاً واسع الامتداد يحيط بمعظم منطقة بحر إيجة وجزرها المشرقة، حيث كان على أوديسيوس الصغير أن يقضي عطلاته الصيفية وأن يزود جمالهُا الطبيعي شعره فيما بعد بالصور والمذاق.

ومن أجل أن يعزل نفسه عن الاندماج في عالم الصناعة في بواكير حياته الأدبية وينحت لنفسه لقباً يدل على رهافة مزاجه ومثاليات فكره، فقد اخترع وصك لنفسه اسماً مستعارا هو "إيليتس Elytis وذلك بأن اختار المقطع الأول من بعض ما هو معهود مثل éllas أو Hellas أي هيلاس أو اليونان، أو كلمة Elpídhá أي الأمل، أو eleftheria أي الحرية أو بالأخص من اسم أجمل الجميلات هيلين أو هيلانة Helen متجنباً في المقطع الأخير من الاسم أي مقطع يحدد انتماءه لجزء معين من اليونان، واختار المقطع الدال على الانتماء العام كما في كلمة politis أي "مواطن".

لقد منحه العراب "والد الطفل في المعمودية" اسم أشهر الأبطال الهومريين "أوديسيوس"، وقام الشاعر الشاب على الدوام بإعادة خلق شخصيته بما يواكب التحامه مع تراثه القديم والعناصر المكونة للقبه الذي نحته لنفسه فأن تخلق هو أن تسمي. حلم إيليتس، ككل الصبية اليونانيين، أن يصبح بطلاً رياضياً، حتى اضطرته علة في الغدد أن ينطوي على ذاته أكثر فأكثر، وأن يلجأ إلى قراءة الأدب والمجلات والروايات، ولكن أثناء القراءة أصبح مدركاً أن الوصف والسرد، وأن السياق المنطقي للأحداث والأقوال، لم تلمس العالم الأعمق الذي أصبح على وعي به في دواخل نفسه، ذلك العالم الذي يتجلّى بغموض تحت سطح الظواهر وهو يبدو حقيقيا أكثر من عالم الواقع الخارجي.

لم يكن شيء مما قرأ، حتى الشعر، يبدو دقيقاً في تصوير حقيقته الداخلية تلك، وما من مدرسة من مدارس الشعر المهيمنة أيام حداثته تبدو متوافقة مع الشاب الصغير، لا الرومانسية الحديدة ولا الأشكال التراثية من البرناسية، ولا "شعر الضياع" الخالص منذ مالارميه حتى إيلوار، ولا الواقعية الحديدة عند أراغون، ولا حتى الأشكال المختلفة من الرمزية، التي تبدو غامضة جداً، وأحياناً مجازية جداً، تستثير توترات أعمق أو أشد ديونيزية، وعلى نحو خاص، فإن المثالي الشاب لم يستطع أن يتقبل الاتجاه المسمى بـ "شعر الملعونين" أو الممسوسين من بودلير إلى آرتو، والذي تمثل بشكل رئيسي عند الشعراء الذين أثروا على جيله أكثر من غيرهم مثل كوستاس أورانيس وكوستاس كاريوتاكيس.

لقد وضع انتحار كاريوتاكيس في ١٩٢٨ اللمسة الأخيرة في فتنة مدرسة الانحطاط. شعر إيليتس أن الشعراء قد سجنوا أنفسهم في أبراجهم العاجية وأصبحوا منفصلين عن المشهد اليوناني وتراث وطنهم وتراثاتهم الشعبية، وأخذوا يتجولون في المتنزهات الغريبة الغارقة في مطر خريفي وسماوات مضببة وحدائق غربة ذوات بجع مسحور حيث استزرعوا عُصابياتهم وتشويش حواسهم وتمجيدهم للشر وكل الآلام المبرحة وانحرافات المزاج الموائمة لطبائع الشمال لا للمزاج المتوسطي. خيم الركود والانحلال كالكفن فوق الشعراء الذين عاشوا بعد كارثة ١٨٩٧، حينما عانت اليونان هزيمة قاسية على يد الأتراك في ثلاثين يوماً، بالإضافة إلى أولئك الشعراء الذين عاشوا بعد كارثة ١٩٢٢ الأشد خزياً، ووقتها كف اليونانيون نهائياً عن فكرة "اليونان الكبرى" التي يجب أن تضارع الامبراطورية البيزنطية القديمة.

وعلى الرغم من أن إيليتس كان معجباً بعبقرية الموهبة الشعرية لكونستانتين كافافيس، الذي كان في ذلك الوقت قد أصبح مقروءًا على نطاق واسع في اليونان، والاتجاه الحديد الذي يبشر به مثل هذا النوع من الشعر، على الرغم من ذلك، فإنه لم يستطع قبول عالم التهكم والمساومة والانتهازية والتفسخ الذي عبر عنه مثل هذا الشعر بمثل هذه العاطفية المتميعة.

لقد كان بعد ذلك في حال من يعجبه عمل ت. س. إليوت ثم يرفضه حتى كتابة إليوت لقصيدته " الرباعيات الأربع"، وعلى الرغم من إعجابه بجورج سيفيريس مثل كافافيس ورأى فيهما ميلاد شعر جديد، إلا أنه لم يتقبل عالم الخراب والعزلة الذي يصوره هذا الشعر بلا رحمة.

كانت السيريالية هي التي أعطت الشاعر الشاب مفتاح عالم محظور كان يتوقع وجوده بشكل غامض وإن لم يجرؤ على الاعتراف به لنفسه. في عام ١٩٢٩، في عامه الثامن عشر، وقع صدفة على ديوان لبول إيلوار، فحررت هذه القصائد مخيلة الشاعر الشاب، ومنحته الوجهة التي كان يتحسس الطريق إليها، وأصبحت الأساس النظري لبحثه

الشعري فيما بعد، ودفعته إلى كتابة محاولاته الأولى وتجاربه المترددة في الشعر، وبالأخص في الفترة من ١٩٣٠ - ١٩٣٥ أثناء التحاقه بكلية الحقوق في أثينا. حينما ترك الجامعة في ١٩٣٥ زاهداً في الحصول على الليسانس، كانت سنة متميزة في حياة إيليتس وحياة الآداب اليونانية بشكل عام، في تلك السنة - ١٩٣٥- سمع محاضرة عن السيريالية ألقاها أندرياس امبريكوس، الذي عاش في باريس في الفترة بين ١٩٢٥ - ١٩٣١ وشارك في الحياة فيها مخالطاً أندريه بريتون، وقام بالتعليق على المحاضرة رينيه لافورغ. وعقد إيليس صداقة عمر مع امبريكوس، الذي أصبح معلمه ومرشده الأمين، والذي نشر في ١٩٣٥ ديوانه "انفجار الأتون" أول ديوان من الكتابة السيريالية المعتمدة على التداعي الآلي الحر في اليونان، وفي تلك السنة أيضاً كان الطالب الجامعي الشاب يُكتشف من قبل شاعر آخر هو جورج سارنداريس، الذي هاجر من إيطاليا إلى اليونان، وكان مهتماً بالنزعات والمذاهب الأوروبية وملتهب الحماس للنظريات الفلسفية الوجودية، ويكتب نوعاً سابقاً لأوانه من الشعر الميتافيزيقي الحر، وقدم إيليتس بحماس كبير إلى الجماعة المتحلقة حول المجلة الفصلية الجديدة "الآداب الحديثة" التي تأسست في تلك السنة على يد أندرياس كاراندونيس.

أصبحت هذه المجلة نقطة الارتكاز للجديد في الشعر والنثر وكانت أول من ينشر ويشجع جورج سيفيريس وغيره ممن يجربون كتابة الشعر الحر والسيريالية والأساليب التي كان عليها أن تشكل ذروة الثقافة الجديدة في اليونان في العدد الحادي عشر من تلك الفصلية نشر إيليتس لأول مرة قصائده الأولى سنة ١٩٣٥ التي تبعتها مجموعات من القصائد ظهر معظمها في "الآداب الحديثة" وأيضا في "الأيام المقدونية" التي نشر فيها ديوان "توجهات" أو وجهات نظر في سنة ١٩٣٦، وديوانه "ساعة المجهول الرملية" ١٩٣٧ "في التعبد للصيف" ١٩٣٩ كان ديوان امبريكوس "انفجار الأتون" قد قرئ باندهاش وسخرية، وأول كتابين لأكبر الشعراء السيرياليين العنيدين "نيكوس أنغونو بولوس "لا تتكلم مع قائد الأوركسترا" ١٩٣٨ و"بيانو الصمت" ١٩٣٩ استقبلا بالاستهزاء وهوجما بسخرية وشبها للتو بشَعر فتاة من الكرتون لها فم كالحرب الأهلية وركبتاها مثل أغاممنون ورقبتها كالخيول الحمراء وردفاها كغراء السمك، وحتى ديوان "أمورغوس" للشاعر نيكوس غاتسوس في ١٩٤٣ استقبل باعتباره نوعا من الهذر وتهريجاً من مشعوذ، أما قصائد إيليتس، حتى منذ البداية، ومع بعض الاستثناءات، فقد استقبلت بترحاب واعتبرت مؤشرا إلى واحد من الاتجاهات التي ينبغي على الشعر الجديد أن يتجه إليها، وكان هذا يعود في جانب كبير منه إلى محتوى صوره وتقابلاته وإلى الطابع الغنائي الذي يطبع طريقته السيريالية. وقد لجأ إيليتس في عدد قليل من قصائده إلى الكتابة الأوتوماتيكية ذات الصور البعيدة أو القريبة في علاقاتها ومجازاتها، وسرعان ما نبذ اندفاع التداعيات الخالصة غير الموجهة والتقابلات المسرفة في صعوبة الوصول إلى دلالاتها، فقد تعادل فيه بقوة، وإن كان ما يزال كامناً، الإحساس برصانة التوازن التي كان يعجب بها- حتى في

تلك الفترة - في التراكيب الكلاسيكية الجديدة لقصائد أندرياس كالفوس (١٧٩٢-١٨٦٩) حيث الغنائية الفذة في أناشيده الرومانسية المتوقدة الخاضعة للأشكال الكلاسيكية الجديدة وتقنياتها مع القليل من جزالة بندار، الشاعر الآخر الذي أعجب به إيليتس بعمق.

كان على إيليتس، حتى في قصائده الأولى المنشورة، أن يبدي إدراكا للشكل في صياغة مقاطعه الشعرية وفي عدد وتماثل طول الأبيات وفي استخدام التكرار والمترادفات، وهي المهارات التي سوف تعطي ثمارها الناضجة في شعره فيما بعد - وما دفعه أكثر نحو السيريالية لم يكن - على أية حال- هو طرحها المضاد للأوزان والقوالب التراثية، بل إلحاحها في طلب ما هو متفرد رواغ، والحدس، واللاوعي، وبما لها من منطق مباين كليا لمنطق العقل الواعي، وذلك الشعر لم يعد بحاجة لمزيد من فضح مدى انتشار الكتابات المتقولبة في الأشكال المعتادة السابقة، وشعر إيليتس أن السيريالية تبشر بالعودة إلى الينابيع السحرية التي كلّستها عهود العقلانية، وهي غوص في ينابيع الخيال والحلم، وانفراط حر لعناقيد الصور التي تخلق أشكالها، وبدأ في نفس الوقت التنظيم الصارم الذي يفرضه بناء الجملة وعلامات الترقيم، مع أنه استدعى من الذاكرة بعض العناصر التراثية المميزة مثل جعل بداية الكلمة الأولى من البيت حرفاً كبيراً، وتذكر أعمال السحر التي كانت تمارسها الخادمات الريفيات في بيته في كريت، وقد كان عالماً سحرياً عميقاً حيث كان لا يمكن أن ينكشف شيء طريقة مباشرة، وحيث الكلمات لها قوة الأفعال وتنفجر كالخوارق من قبعة ساحر، كان عالماً افتتن به الشاعر الشاب. لقد كان تطويعه للسيريالية ذا أثر كبير على مجرى الشعر اللاحق في اليونان.

٢- الشمس الأولى

كانت ثروة إيليتس من الصور والاستدعاءات المستمدة في معظمها من جزر بحر إيجة وفي بعضها من رحلاته خلال اليونان طولاً وعرضاً، مفعمة بالعافية والفرح والبهاء وتحولات المراهقة، وقد راق ذلك للشعراء والنقاد معاً، إن نشر "الشمس الأولى" مع "تنويعات على شعاع الشمس" بعد ذلك بسنوات في ١٩٤٣ كان ببساطة ذيوعا لصيت مجموعته "توجهات"، فهنا، تحت سطوة الحياة الديونيزية التي لم تسمع منذ دفقات الشاعر سيكليانوس أو نزعة الإقبال الشهواني على الحياة عند امبريكوس، قدم إيليتس نفسه في رصانة السيطرة على التقنية ومزيد من الشفافية في صوره والوضوح في تعبيره، في "توجهات" و "الشمس الأولى" أصبح الشاعر الغنائي الأول بين جيله من الشعراء، وتحققت له أمارات الإعجاب والتبجيل المبكر وسط المشاهد الأسطورية والأحلام العذبة المستمدة من بحر إيجة، فكان يلقى آيات التكريم باعتباره شاعر الفرح والعافية وشاعر الرؤية البكر والاحتفال بكل ما هو محبب وبهيج وفي ذروة تفتح الصبا.

أعلن الشاعر الشاب في أول قصيده نشرت له "عن بحر إيجة": "الكراهية لي، تستفيض على طرائق السماء" بنظمها التكراري ذي الأبيات غير المتساوية في طولها، وهي لا تقدم مثالا على قوة إحساسه بالتراكيب فحسب، بل تقدم دليلاً مشخصاً على معجمه اللغوي في شعره الباكر. في هذه القصيدة القصيرة المكونة من ثلاثة مقاطع (هنا مقطعها الأول فحسب) تصادف الصخور والآفاق والكهوف والينابيع وسط الضوء اللازوردي والشمس والجزر والأرخبيلات المحاطة بالزبد، والأمواج والنوارس والقواقع وأنسام البحر والرياح، والبحار حيث يزود البحارة سفنهم بالمؤن، ويفردون أشرعة وقلوع حلمهم، حالمين بالغناء والحب والقبلات ومداعبات خطيباتهم، وبالفتيات الملوحات بالشمس، والجميع في عالم شفاف معتدل بهيج ودائم الإشراق. في قصائد ديوانية الأولين يستدعي إيليتس الشواطئ المهجورة في ضوء الشمس الباهر والجنادب الذهبية وهي تتهارش في نعاس الظهيرة في أغسطس، والحجر المكتسي بجلد العقرب المسلوخ وأدغال الزيتون وعرائش العنب المتمددة نحو البحر، وطريق الصخور الموحشة وفتوق الفضاء في السماء والنهار المنتصب على ساقيه واحتفاليات الصباح في البحر والنظرة الخاطفة التي تلم بالأحجار والصبّارات التي لا تموت، والرياح حافية الأقدام، وتجنبت هذه القصائد سبر أغوار المشهد أو الواقعية التأملية لعصر النهضة في فن الرسم، فالقريب والبعيد يتجليان معاً على سطح اللوحة تحت سماء اليونان الصافية، مثلما يتجلى ذلك في الرسوم اليابانية.

كان إيليتس من أوائل من لفتوا الانتباه إلى أن اليونان خلال حركات النهضة في البلاد الأوروبية المختلفة كانت واقعة تحت احتلال الامبراطورية العثمانية، فلم تدرك ما يجري من تجارب في توزيع الظل والنور أو في المنظور، واستمر تشبثها بالتشخيص المسطح للأيقونات والفسيفساء البيزنطية التي لم تكن - بأشكالها الخطية وألوانها الصريحة - ذات أبعاد تمنحها التجسيد بواسطة الظل والانحناءات، بل كانت مسطحة كما لو كانت تحت ضوء ساطع مطلق، وقد كان مقدراً أن يكون إيليتس نفسه واحداً من أهم نقاد الفنون التشكيلية في اليونان ورساماً ذا ألوان غنائية رقيقة فياضة بالحيوية، وواحداً من فناني الكولاج السيريالي الذي يتضمن ما يماثل شعره، وإعجابه بالفن الغزلي لم يتجه إلى غرائبيات سلفادور إلي والسيرياليين المتطرفين الآخرين، بل إلى الألوان والانطباعات المنبسطة عند ماتيس ومتوسطية بيكاسو، وإلى انطباعية سورا التنقيطية وبدايات بيسّارو المبكرة. ربما كان من الأفضل أن نشبه قصائد إيليتس بفن الفسيفساء البيزنطي، وأن نشبه كلماته بالأحجار ذات اللون الساطع والبلور والحصى، وهي الحروف الأبجدية للغة الفسيفساء والأيقونات (وكلمة أيقونة icon تعني في اليونانية "صورة") ففي الأيقونات تبقى كل قطعة أو شظية من الفسيفساء محتفظة بلونها البراق واستقلاليتها وحوافها الحادة مع أنها تتوحد مع قطعة أخرى، والأشكال المفردة المتساوية تتوحد، لا بالتظليل أو إندماج الخطوط، بل بتصميم الخطوط ومجموع تجاور الألوان، وقطع الفسيفساء التي

استخدمها إيليتس في شعره كانت من القواقع وحبيبات الرمل والنباتات والزهور والجنادب والطيور والسحب في المشهد اليوناني المؤطر بالآفاق وتكوينات الجزر الصخرية.

لم يكن من عادة أحد من شعراء اليونان القدامى أن ينشد بهذا الإلحاح والوجد عن بحر إيجة أو عن وحشة مشهده الخلوي الباهر، ربما لأنهم تقبلوه باعتباره بيئتهم اليومية المبتذلة، ومن بين جيل إيليتس، وحده نيكولاس كالاس (باسمه المستعار: "نيكيتاس راندوس") الذي كتب مقطوعات قليلة في تمجيد "سانتوريني" إحدى جزر بحر إيجة، وأيضا جورج سارنداريس، الذي اكتشف طالب الجامعة الشاب إيليتس، هو الذي أثر في إيليتس بصوره عن الضوء واللون وبالافتتان بالفتيات وسيدات الصخور اللائي يتخذن مراياهن من الأزهار.

في عالم الصيف البهيج المبهج هذا، تحول إيليتس إلى إبداع جمال فرح وإلى "اعتصار لحظاته الخضراء"، وإلى ضياع الشبان والعذارى الذين أصبحوا طوال جيل كامل في اليونان تتويجا لشيء ما من خلو البال والجرأة والجمال، وجيلا فاتنا مفتونا، بريئا، مستيقظ الأحاسيس الجنسية منذ الطفولة والمراهقة الباكرة، وأرض اليونان ومشهد البحر عند أغلب الشبان حينئذ هما فردوس مثالي من الماء والصخر والسماء اللازوردية، ومن أطياف الشمس حتى قتامة البحث عن لقمة العيش في هذه الأرض القاحلة يدفع هذا الجيل الضريبة قبل الأوان بأن يبدو وهو في أواسط العشرين من عمره عجوزا ينوء بالسنين.

لقد ابتكر إيليتس "ضاحية القلب المفتوح" حيث تتحول السماء الطاهرة إلى الصفاء، وحيث تتحول كل لحظة إلى شارع يغير لونه، وحيث يعلو وقع خطى الزمن في الأعماق، وأقام في مشهد الحلم هذا مع تحولات المراهقة للصبيان والبنات والعذارى الأسطوريات ذوات الشعر المتطاير والأجساد الشفافة اللائي "تبدى زرقة البحر من عظامهن" وكأنهن يمتلكن براءة من عالم آخر، جاعلات اللامرئي مرئيا، وعالم الأشياء يتشكل حسب أهواء القلب، كاشفات عن سر الأشياء الغامض في براءة الأحاسيس الجياشة حيث لا ينفصل ما هو مثالي عما هو مادي. هؤلاء الشبان والشابات يحيون ممتزجي الأرواح في عذوبة ما بعد الظهيرة، حيث يمنحون طقس الحلم الصعب حضورا مؤكدا وسط عالم من البراءة ونقاء الحصى في شفافية الأعماق والحس البلوري، وينامون في ضوء لازوردي على مدارج أغسطس، ويلعبون مع الشمس القريبة من أطراف أصابعهم بينما ينحدر النهار وراء خطى المجهول حيث "براءة العذابات هي ماء الشفق الذي ينهمر"

لقد أبدع إيليتس أرضا وأسطورة متوسطيتين حيث يستطيع فيهما صبيانه وفتياته أن يعيشوا حياة لا كما هي، وإنما كما يشتهون أن تكون، حتى وإن التاعوا بالحنين ولوثهم فساد الواقع. حقا إن علماء الآثار في الوقت الحالي قد جازفوا بنظرية أن "أطلنطيس"، الفردوس المفقود، كانت جزءا من جزيرة "سانتوريني"، ولكنها في ثورة بركانية منذ قرون

غرقت تحت مياه بحر إيجة التي غمرت أمواج مدها مدينة كنوسوس المينوية بالقرب من مسقط رأس إيليتس.

لقد حاول الشاعر أن يستعيد أرض أحلام القلب المفقودة هذه بأن يخلق شعورا خاصا بالجزر، صافيا، وعالما من الوضوح الحي والطهارة، والفجر السحري لعالم غنائي جديد في مواجهة الأرض الخراب بفعل الانحلال والفوضى من حوله، وعالما يتطابق مع أصفى ملامح الشخصية الإغريقية، وشعرا طبيعيا هو بالنسبة له كأنه امتداد لمسام جلده بعد خلق السماء والأرض كما في سفر التكوين، قال الرب "ليكن نور فكان نور"، والشمس والنور عند إيليتس هما الألف والياء، وهما ينبوعا الكون، وقد أبدع في شعره المبكر عالما يتنفس في سماء بلا ظل، في ذلك "المناخ المشع الخصب" الذي يتحرك في وضوح أفلاطوني، عنون إيليتس ديوانه الثاني بعنوان: "الشمس الأولى" ليعلن أن الشمس في اليونان هي صاحبة السيادة المطلقة التي لا تصبح الأشياء تحت إطلالتها البراقة واضحة وطاهرة فحسب، بل مستضاءة بضوء كاشف ومتعال مجرد أيضا في مطلق العدالة والبراءة الأخلاقية والميتافيزيقا المادية، والشمس عند إيليتس باعتبارها ينبوع النور لا تبلغ مكانتها المطلقة والحقيقية في اليونان فحسب، بل تتطلب التضحية الدائمة أيضا كي تُصان، فـ "لابد من كدح عظيم لتدور الشمس في فلكها"

وعلى الرغم من أن الشمس وضوءها المتلألئ واحد من المصادر الرئيسية للمخيلة والاستعارة في الأدب اليوناني، إلا أنهما لم يلعبا مثل هذا الدور الرئيسي عند أي شاعر آخر، باستثناء نيكوس كازانتزاكيس في ملحمته "الأوديسة"، فالشمس واللهب والنار والنور تشكل المخيلة في الأوديسة وتفيض في تيار باهر خلال القصيدة، تماما مثلما تفيض الشمس في اليونان ذاتها بلا انقطاع خلال صفاء سمائها اللازوردية، متوهجة فوق الصخور والجبال والشواطئ ذات الامتداد المتلوي والجزر في ذلك البلد المغسول بالشمس... الشمس تدور حول الأوديسة في تحولات سريعة التقلب، وهكذا نجد عند إيليتس الأشجار تقطر بالشمس، والأغصان مغموسة بعصارتها، والشمس تدخل كأنها مهرجان النصر، وتنداح كأنها نهر على الحقول قبل الحصاد، وتعلن انبثاق البراعم، وتدحرج قطرات الماء والياسنت والصمت فوق الأجساد الملوَّحة، وتدحرج رأسها فوق المرج، وتضيء أزهار الخشخاش، وتلهو بالأحجار، وتصلصل بجلاجلها الكثيرة، وتقف حارسا على أطراف الصواري، وترتعش بين أسنان الغلاميات، النهار الأشقر عطيتها، والفتوة مكافأتها، الصبيان والبنات يسيرون تحت وميضها الساطع، ويغدون ثملين بعصيرها، يشربونها كالماء ويغصّون بنشوتها ويحفظون مزاميرها عن ظهر قلب، ويغوصون في لجتها ويمسكون بها بين أفخاذهم، الشمس هي التعويذة السحرية التي يطرد بها إيليتس كل الشر من العالم، وهي الطاحونة التي يطحن بها الظلام والقتامة ليتحولا إلى نور مطهِّر تقف فيه العدالة مشخصة وملهمة.

وبحر إيجة عند إيليتس ليس مساحة جغرافية فحسب، بل هو الثالوث الذي يغرس فيه لا شعورُه الشخصي جذورَه العرقية، وهو أيضا فضاء إشراقي وروحي يرهص فيه ماضي وحاضر اليونان المجزأة باستعادة امتلاكها لوحدة أخلاقية ما.

ربما تكون قصيدتا: "جسد الصيف" و "شجرة الرمان المجنونة" أصدق مثال باكر على منهج إيليتس ورسالته اللذين يجعل بهما غير الملموس ملموسا "تحت سماء تشتعل هكذا بلا نهاية لتصبغ أشجار الفاكهة ثغورها وتتفتح مسام الأرض"، يأخذ الصيف صورته في هيئة شاب ينطرح عريانا على شاطئ بحر إيجة، والجنادب تستدفئ في أذنيه، والنمال تسرع في زحفها على صدره، والسحالي تنزلق خلال حشائش إبطيه الطويلة، وعلى شعر جلده المجعد نَفْحُ الريحان.

البَرَدُ الهطّال والريح الشتوية المتلاطمة وضروع السحابة الكثيفة ما هي إلا الظاهر العرضي الذي يتبدى من ورائه شاب يتبسم بلامبالاة، وهو يعرف يقينا أن زمنه الخالد وحيويته العارية سوف يدومان ويترسخان. هذا التشخيص وهذا التشكيل لما هو مجرد في قالب ما هو عيني، هو منهج إيليتس النموذجي. إن شجرة الرمان المجنونة ترمز في شعره لكل ما هو مبهج وشهواني ومفعم بالضحك المثقل بالمعنى، ومصدر الضوء، والشمس تنشر ألوانها عاليا وهي تتأود بزهو المنتصر، وتنشر لون الزعفران من أقصى قبة النهار إلى أقصاها، والأفراح والمباهج والرقص المحموم بين غلالات أبريل وزرازير منتصف أغسطس، ولكن مثلما يستبقي الصيف ذكرى الشتاء في القصيدة السابقة، فإن شجرة الرمان المجنونة تقاوم بجنونها سماوات العالم المضببة وتستصرخ الأمل الوليد البازغ وتطارد شيطان المناخ العاصف بالنور وتطلق الطيور الطائشة على صدر الشمس.

لقد أصبحت شجرة الرمان المجنونة رمزاً عزيزاً عند إيليتس، يرمز إلى كل شيء يقاتل ضد الشر والقمع باندفاع متهور محموم.

ولأن إيليتس جعل الصيف حسيا ملموسا، فإنه سما به بمخيلة حرة، لأنه تحول مبتعدا عن الميوعة العاطفية والدموع المهدرة إلى القيمة الحقيقية للحياة وإلى إبداع جمال فرح، ولأنه في قلب مأساة العالم قد غنى للرحمة التي ترفع يمناها السيف، وغنى للأمل الوليد الذي يبزغ، فقد اشتهر إعتباره شاعر العافية والفرح، شاعر الأمل والتفاؤل، شاعر التوهج والشباب، وهكذا ترسخت الفكرة عنه وأصبح من المستحيل على المعجبين به من جيله أن يضعوه إلا في هذه المكانة.

حقا هذا هو الأثر العام الذي جاهد شعره المبكر كي يخلقه، ولكن هناك مع ذلك أمارات السحب الداكنة والجو العاصف والسماوات الملبدة، وإيليتس نفسه لم يكن يشبه الشباب الذين غنى لهم في شعره هكذا إلا في الرغبة الجياشة وفي الخيال المتقلب، فقد فكر مرارا في الانتحار أثناء سنوات شبابه الغض التي قضاها بين مصاعب أسرته، ووجد

الشعر من حوله مازوكيا في جوهره وخرابا للروح وصل بالإنسان إلى حال من العذاب الأليم والإحساس بالإثم، ومع ذلك فإن الشاعر الشاب في سوداويته واكتئابه قد وجد نفسه لا يستطيع إلا الاحتجاج أو الصراخ، فإن شيئا ما في داخله يدفعه إلى خلق حياة أخرى، ينبغي أن يسودها روح الأمل والعدل، وأن يرسم معالم حياة، لا بما حرمته منه بل بما يشتهي أن تهبه إياه، ولم يشأ أن يقول ببساطة إن هذه الحياة موجودة، بل كيف وعلى أي أساس ينبغي أن توجد. إن الفرح بالنسبة إليه لم يكن حقيقة بقدر ما كان رؤيا خلاص فردوسي لا يمكن إنجازه إلا بالكفاح الدءوب.

لقد كان نضال إيليتس أساسا لتحويل الحياة وتغييرها "بنظرة حرة حيث يصبح العالم جميلا مرة أخرى وفق معيار القلب" كان نضاله موقفا أخلاقيا: نضال الإنسان ليخلق النور من الظلام، وليجتث جذور الشر من الذاكرة، وليحول السوداوية والأسى إلى فرح من خلال احتياج أخلاقي للعدل، ولتحقيق مثالية أفلاطونية. يوضح إيليتس في إحدى قصائده: "كل ما أحبه يتوالد بلا انقطاع، وكل ما أحبه قد ولد منذ البدء" والفرح عنده هو "احتواء اللحظة لكل ما يهدد العالم" لقد نشر ديوانه "الشمس الأولى" أثناء الاحتلال الألماني الإيطالي لليونان، وحينما سئل عن السبب في أنه كتب قصائد عن النور والنهضة في حقبة كهذه من اليأس والظلمة، أجاب بأنه لم تكن أحداث العصر هي التي تغريه بكتابة الشعر، بل العواطف والانفعالات التي كانت تواجه هذه الأحداث وتعيد صياغتها.

ينبثق الأمل عند إيليتس من ينابيع السوداوية والتعاسة، وهو في هذا يختلف جذريا عن كازنتزاكيس الذي يحمل شاهد قبره في "هيراكليون- مسقط رأس الشاعرين-:" إنني لا آمل في شيء، إنني لا أخاف شيئاً، إنني حر "والذي كتب في ملحمته الأوديسة منددا" بالأمل المتعفن الفخذين". لم يكن سؤال إيليتس من أين يبدأ المرء، بل إلى أين يبغي الوصول. إن الشاعر لا يهرب، إنه يعود، إنه لا يخلق العزلة بل يقضي عليها، والشعر هو العودة، إنه نفخ الروح في مادة العالم، إن الشاعر لا يعبر بالضرورة عن أزمته بل إنه يقاومها ببسالة، ومن بحر إيجة كان إيليتس يحلم بخلق شيء يشبه الوصايا الأخلاقية العشر، حتى يعود بعتاد من النور إلى المناطق التي يسودها الظلام ويجعل الأشياء قبيحة. إن حاجته للحديث عن الصفاء والطهارة تتماثل جمالياً وأخلاقياً مع ما عرفه منذ الطفولة من تماثل الظلم والقبح في توحدهما.

إنه يدرك أن جميع الموضوعات الحسية في شعره ومراهقيه وفتياته وشواطئ صيفه وشموسها اللاهبة قد أصبحت امتدادا من العالم الواقعي الخارجي الذي نعيش فيه إلى إمتداد آخر، أصبحت امتدادا من القوانين التي تكتب وتقترح وتوحي وتحرض الأفعال الأخلاقية بالمعاني المتقابلة، هذه التصورات كانت مدركة بالحدس في الفترة الباكرة من عمره، ولكن كان لها أن تمتلك المعنى والغاية في حياته وشعره اللاحقين.

هذا الموقف هو ما أنقذه من الخطر الرئيسي وهو السقوط في الميوعة وتزييف العاطفة، ولكن الكراهية كذلك تزييف للعاطفة و "ميوعة الدموع التي لا لزوم لها" وقد أعلن في إحدى مقابلاته: "إن مقاومتي للشعار السائد: [إن علينا أن نقدم دراما أزماتنا وصراعاتها الضارية] مقاومة عميقة، حينما تتجاوز الحقيقة الخيال بمراحل، فإن المبالغة الشعرية تصبح بلا فائدة ويصبح تأثير الألم مجرد فظاظة من الدم والدمع، وإنني- على العكس من هذا - أظن أن على الشاعر أن يبحث عن القوى الروحية التي تعادل هذه الدراما وهذا الصراع العنيف، يجب عليه أن يهدف إلى إعادة تركيب وصياغة شذرات وشظايا الحقيقة الواقعية علّه ينتقل مما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون"؛ بهذا المعنى يكون إيليتس هو الابن المباشر للشعراء والمثّالين في العصر الكلاسيكي في اليونان، الذين جعلوا الواقع مثاليا في محاولة استظهار أو تجسيد الحقيقة الداخلية الأعمق والذين فعلوا ذلك أيضا بالانهماك في الحياة لا بالإعراض عنها أو الابتعاد عن احتياجاتها المباشرة. لقد ناضل الشاعر من قلب مأساته وسوداويته ومن غمار يأسه وعدميته ليعيد خلق العالم حسب معيار قلبه، ليخلق مفاهيم الجمال المرتبطة بالحرية والعدل. والمهم هو الموقف الذي يأخذه المرء والوضع الذي يتوافق معه والنضال الذي يلتزم به. وجميع الشعارات الأخرى هراء أو بلا معنى.

٣- الملازم الفقيد

تبددت الأحلام التي تشبث بها اليونانيون بفظاظة بالغة وانقشعت عن واقع خشن حينما غزا موسوليني اليونان من الحدود الألبانية في نفس اليوم الذي وجه فيه إنذاره في ٢٨ أكتوبر ١٩٤٠، وكان جواب جون ميتاكساس الذي كان على رأس حكومة ديكتاتورية حينئذ، جوابا مختصرا ومدويا: "لا" وهو الرد الذي أخذ مكانه في التاريخ اليوناني إلى جانب رد "ليونيداس" على الفرس في "ترموبيلاي": "تعال وانتزعه"، واستدعي إيليتس على الفور باعتباره ضابطا احتياطيا، وأمر بأن يخدم برتبة ملازم ثان في تشكيلات الجيش الأول.

لقد استجاب الشعب اليوناني باندلاع حمى الوطنية، متغافلاً عن حقيقة أنه على وشك أن يكون في مواجهة تفوق كاسح، وخلال أيام قليلة عبرت الفيالق اليونانية الحدود إلى ألبانيا وأزاحت الإيطاليين واحتلت المدن الرئيسية في الجنوب، كورتيزا وأريير وكاسترون، ولكن بعد هذه الانتصارات الأولى وقع اليونانيون في مأزق بسبب تفوق الأعداء عددا وعدة، وكان انهيارهم محتما حينما غزا الألمان أرض اليونان عبر يوغوسلافيا، حتى تم احتلال اليونان بقوات من الألمان والبلغار والإيطاليين من أبريل ١٩٤١ حتى سبتمبر ١٩٤٤، ثلاث سنوات ونصف من الاحتلال الذي ترك آثاره فيما بعد على الحياة والأدب في اليونان.

لقد انطبع في ذهن الملازم الشاب مما رآه من قبل كيف أن الأمة قد تحركت وانتظمت خلال ساعات قليلة وانخرطت في الفعل.

كانت هذه الميكانيكية الباردة القلب قد شتتت عالمه الداخلي وجعلته يشعر أنها ستقتل الشعر فيه مرة وإلى الأبد، وقد كتب في رسالة لي واصفا تجربته في الحملة الألبانية وأثرها على حياته وشعره: "يبدو لي مخزيا أن ما واجهته من المعاناة المفاجئة والظلام والمستقبل المجهول لوطني ومصيري الشخصي لن يسمح لي بالتفكير في الشعر نهائيا، ولكن التحول المضاد لحياتي المعتادة قد بدأ يأخذ أمام عيني يبطء دلالة رمزية لهذه التناقضات التي يمكن أن يهيمن عليها الشاعر حينما يوظفها بصدق من أجل تحقيق الغاية المرجوة وعلى درب هيراقليطس في الصعود والهبوط، ولكي أخطو إلى نقطة الهدف حيث الحياة والموت والنور والظلمة فقد أصبح من الضروري لي أن تكف عن كونها متناقضات.

إن السيريالية التي كنت بدأت منها ذات يوم قد أوضحت لي نفس الشيء عبر كلمات أندريه بريتون، كما أن التراث الأسطوري الإغريقي قد عاد إلى سمعي عبر كلمات أنجلوس سيكليانوس. إن الخوف الجسدي من الحرب، الخوف المادي من القنابل والألغام، قد محق داخلي أشكال الأدب الزائف وكشف المعنى الحقيقي للشعر، وقد تبدد الخوف بدوره من داخلي بالخلاص الذي جلبه لي- كإنسان- شعر مجدول من الوضوح والحقيقة. لقد هيمن علي نوع من "التواضع الميتافيزيقي" هو الفضائل التي وجدتها متجسدة وحية في رفاقي الذين كونوا بمزيجها هيكل شاب شجاع ذي قامة بطولية، ذلك الذي رأيته في كل حقبة من تاريخنا. لقد قتلوه ألف مرة، وألف مرة كان يقوم منتفضا من جديد، نابضا بالحياة. إنه بلا ريب هو المعيار والقيمة في حضارتنا، مجبول من عشقه للحياة، إنه يعيد خلق الحياة من قلب مكابدة الموت - بعشقه للحرية.

وفيما بعد، وفي جيبي أمر عسكري، التحقت بوحدتي الجديدة في مكان ما من جبهة القتال بين جبال أكروكيرافنيا وبين تبليني، وشيئا فشيئا كنت أفقد معالم وجودي المادي، تشعثت ذقني أكثر فأكثر، وتكاثرت أسراب القمل، والطين والمطر لطخا ملابسي، وغطى الثلج كل ما يتراءى للبصر، وعندما حان الوقت لأثب وثبتي النهائية ولأفهم الدور الذي يجب علي أن أقوم به في مواجهة الأعداء، لم أعد إلا كائنا من مادة هشة، وهو- بسبب ذلك بالضبط - قد حمل بداخله كل قيم الحياة المادية التي بلغت من ضغطها درجة الانفجار وأفضت إلى مقابلها الروحي، فهل كان هذا نوعا من "المثالية المعاصرة"؟

في تلك الليلة ذاتها كان من الضروري أن أتقدم عبر ممر ضيق حيث تكرر لقائي بحاملي نقالة الجرحى الذين يحملونهم إلى مؤخرة القوات.إنني لن أنسى أبدا أنين هؤلاء الجرحى، لقد جعلوني- وأنا في قمة توتري العقلي الشامل- أستعيد القول: "مستحيل"، وأستعيد القول: "مستحيل أن يحدث إلا هكذا" وهما قولان يستحضران انقلاب العدالة

على أرضنا هذه، لقد جعلوني أقسم باسم قيامة ذلك البطل الهيلليني الشجاع الذي أصبح بالنسبة لي الآن الملازم بالحملة الألبانية، أقسم أنني سأندفع إلى المعركة بتعويذتي هذه من التصور الغنائي.. لم يبق لدي أكثر من أن أبر بقسمي وأفي بنذري، أن أجسد الملازم بالحملة الألبانية على مستويات متعددة منسوجة معا بمواريث التاريخ اليوناني ومنخرطاً - على وجه الخصوص - في الموت وما بعد الموت بالبعث وقيامة الرب"

وقبل أن يتمكن إيليتس من الوفاء بنذره كتب بين ١٩٤٠-١٩٤٣ قصائده في ديوان "الشمس الأولى" تجسيدا لجميع ما لبحر إيجة من جمال وحلم مراهق كما لو كان يصف لحظتها فردوسا يتعرض لخطر الزوال النهائي. وبسبب هذا، ربما، أصبحت أوصافه للصيف تشخيصية ومكثفة، فقد آل مراهقوه إلى طفولة أكثر براءة، بينما السوداوية ووجع القلب المعتكر المزاج قد شوها وجه الايديولوجية المتصلبة أحيانا، كما لو أن فسيفساءه ذات الزجاج الملون والحصى قد تقوضت هنا وهناك، لابفعل تدمير الزمن وتعرية المناخ، ولا بعوامل الطبيعة وأسلحتها، فحسب، بل بما صنع الإنسان من شظايا القذائف والقنابل أيضا.

ومع رجوع الملازم "إيليتس" إلى ساحات الأرض المرمرية حيث سقط العديد من رفاقه، بدأ يدرك بالتدريج أن "الموت هو ذلك القدْر من الحياة الذي يتركه الإنسان بلا فعل" لقد فهم إيليتس الآن أنه كتب أولا ليؤسس لشخصية يتهددها الخطر، ثم تحقق طموحها اللامحدود فيما بعد، ثم يستمر بعد ذلك في رسم ملامح عالم في الغالب من خلقه الذاتي تماما، لقد رأى أن معظم الناس واجهوا الموت وهم يقيمون خطوطا دفاعية تبريرية مثل: الخضوع للواجب والأسرة والوطن والعقيدة والثورة أو الضياع في مباهج عبادة اللذة، ولكنه رأى بوضوح أنه الآن قد استطاع مواجهة الموت بقصائده فحسب، وأحس بحاجته العميقة لكتابة شعر الوضوح والحقيقة، وعلى الرغم من أنه أزاح جانبا شعر الوطنية السهلة، إلا أنه كان على وعي عميق بشعور الكبرياء القومية، لقد أصبح الشعور واللا شعور بالنسبة إليه البديل الوحيد الممكن لعقيدة الفناء في رب مجهول، مع أنه مستغرق في الرموز والطقوس التي انحدرت إليه من التراث البيزنطي. لقد رأى في المقاومة البطولية للشعب اليوناني خلال تاريخه الطويل ضد القوى الباغية نوعا من تهور الروح والجنون المقدس.

لقد رأى في رد الفعل التلقائي للشعب اليوناني ضد غزو موسوليني انتصارَ التجاوز الجميل للحسابات الشخصية والحذر، والقدرة على التمييز بين الخير والشر في زمن الخطر، وتحول إيليتس إلى شعر أقل جنوحا للسيريالية وأكثر وضوحا تحت إلحاح الحاجة للكلام عن الأحداث الرهيبة التي شارك فيها لا بالخيال بل بواقعية القمل والبارود، وجعلته عواطفه المعقدة الجياشة يتبين أنه يحتاج إلى الاعتماد على قصيدة طويلة، وفي سنة ١٩٤٣ كتب "النشيد البطولي والرثائي للملازم الفقيد في الحملة الألبانية"

ليس لهذه القصيدة- على أي حال- بناء متماسك، ولكنها بالأحرى نسق سيمفوني من الألحان والألحان المضادة المجدولة معا بغير إحكام، والبيت الشعري هنا يبتعد عن خروج الشعر الحر عن قوانين النظم ويقترب من البيت التراثي ذي المقاطع الخمسة عشر في الشعر الشعبي، وصوره ما تزال تتصف بالجرأة والغرابة والتداعيات الحرة للتقابلات الغريبة التي اكتسبها من السيريالية والتي لم يتخل عنها أبدا ولكنها تخضع هنا لخدمة وضوح أكثر، وإنجازه ما قطعه على نفسه، وللبحث عن هوية قومية، وليتوجه بالكلام لا إلى نفسه فحسب، بل إلى أمته أيضا

إن الملازم، في النشيد البطولي والرثائي، هو بالطبع الصبي ذاته ذو الركبتين المتسلختين، وهو نفس الولد المتشرد تحت الغيمة البيضاء في قصائده المبكرة، والذي كبر الآن، لقد كان هو ذاته بحار الحديقة الصغير الذي كانت موسيقى الحجرة لديه هي الأزهار، وقد هجرت الطيور حديقته فجأة، وهو نفس الشاب العنيد المشاكس المندفع في قصائده، ولكن الملازم الشاب يرقد على سترته العسكرية المحترقة، وبين حاجبيه ثقب رصاصة "نبع صغير مرير وبصمة القدر" وبجانبه يتدلى نصف ذراعه المبتور، وجسده حطام صامت لسفينة الفجر، وفمه طائر صغير أخرس، ويداه برار من الوحشة، ولكن "الموت هو ذلك القدر من الحياة الذي يتركه الإنسان بلا فعل" و "توجهات" إيليتس في مواجهة الانسحاق - على وجه الخصوص - كانت دائما تأكيدا على الإنسانية وعلى الضمير الجمعي والوعي، وعلى العدل والحرية، وعلى البعث والتجلي اللذين يتضمنهما فعل الكتابة ذاته، وفعل التأليف وفعل الحلم، حتى أن الشاعر يمكن أن "يكابد عذاب الشر حيثما يكون". ولهذا كان على التحول - الذي ينخرط فيه أكثر فأكثر- إلى الرموز في طقوس الكنيسة اليونانية الأرثوذوكسية أن يمنحه أسلحة الكتابة، صعود الملازم عند إيليتس "وحيدا متوهجا بالنور" ثملا بالنور حتى أن قلبه يتوقد، بينما" تتوهج من حوله تلك الآلام التي أضاعته مرة في وهدة الخطيئة"، وأجراس القيامة تدوي عند تجلي الجندي وتعلن: "غدا غدا غدا قيامة الرب" كتب إليّ إيليتس ذات مرة يقول: "أعتقد أن يوم العدل آت، العدل الذي أُماهيه بالنور، وأماهيهما بأسلافي الأماجد القدماء، إنني فخور بأن أقول- على الرغم من السائد في عصري- إنني لا أحفل بهذه الآلهة التي تُمارَس عبادتها في الظلام".

٤- انتقالات لحنية

تحول إيليتس في هذا الوقت إلى التوحد مع شاعر آخر في حرب أخرى وقد أسند إلى جدار وأطلق عليه الرصاص بيد الفاشيست، توحد بفيديركو جارثيا لوركا، وفي سنة ١٩٤٨ قام بترجمة عدد من قصائده. الصبي ذو الركبة المتسلخة قد مات رمزيا في ثلوج ألبانيا، وكفّن ودفن في قلب إيليتس، وأزيح جانبا، ولكنه رفض بعناد أن يطويه النسيان. كانت السنوات العشر التالية سنوات عذاب مبرح له، سافر أثناءها كثيرا وساهم في فعاليات خارجية بعيدا عن الإحساس بالمسئولية والواجبات الوطنية. وباعتباره ناقدا

للفن والأدب، فقد حاول أن يصوغ نظرية في الجمال وأن يمهد لحياة تكون أكثر توافقا مع العالم المحيط به، وعلى الرغم من شراسة قوى التدمير، فإنه ناضل ليصوغ معايير جديدة للفكر والفن، وهكذا شرع في التأسيس الراسخ لبناء عمله الناضج..في سنة ١٩٤٨ بدأ عدد من الدوريات في إيطاليا وانجلترا والولايات المتحدة في نشر ترجمات من شعره، وعين ناقدا متفرغا في الصحيفة الأثينية "اليوم" ولكنه استقر في باريس في نفس السنة تلبية لاحتياجه لتغير المكان أسوة لتغيير القلب، ليدرس الأدب في السوربون، ومن مستقره في باريس سافر إلى انجلترا وسويسرا وإيطاليا حتى ١٩٥٢. وزامل في أوروبا لا الشعراء وحدهم من أمثال بريتون وإيلوار وتزارا وشار وجوف وفيشو وأونغاريتي، ولكنه زامل الرسامين والنحاتين أيضا من أمثال ماتيس وبيكاسو وجياكوميتي ودي شيريكو وآخرين، استجابة لمزاجه ولأنه كتب عنهم العديد من المقالات، وتعاون مع المجلة الفصلية Vewe "الإلهام" بكتابة مقالات بالفرنسية، وانغمس في عدد كبير من المؤتمرات والاتحادات ولجان التحكيم وإدارة المسرح والإذاعة والتليفزيون.

إن مشاركة إيليتس في الحملة الألبانية ومسئولياته أثناء الاحتلال وما تلاه من حرب أهلية وانغماسه في الأنشطة والمهام الوطنية والثقافية والفنية، وأسفاره واتساع آفاقه بالمؤتمرات والمجالس العالمية قد ساعدته جميعا على تخطي مصاعب وآلام التحولات الداخلية والخارجية التي وجد مشقة هائلة في دمجها وتوحيدها والانتقال الصعب إلى وحدة عميقة بين الحقيقة الداخلية والخارجية، وفي سنة ١٩٥٩ نشر قصيدته الكبرى "له المجد" وفي سنة ١٩٦٠ نشر "ست ضراعات للسماء وتضرع واحد".

٥- تضرعات الندم

تُظهر القصائد في ديوان "التضرعات" نضج الشاعر، وتمضي إلى الحدود القصوى مع العنصر التراجيدي في العالم، ومع ذلك فإن هذه القصائد ضراعات أسف وندم وغصة ضمير وإحساس بالإثم لفقدان لازورد السماء، لأن السماء لم تعد طاهرة ولا شفافة ولا "عميقة لاتتغير" كما كتب مرة، بل معتمة ومضببة ومدنسة ومضروبة بالقنابل والمفرقعات وممزقة، وما بقي" لاشيء إلا الصدى المتكسر" لقد غدت الآن ساحة معركة حيث لا يوجد جندي فرد ولا جيوش من الرجال بل كل الجنس البشري يصارع في ربوع الأرض ضد أعداء أبديين، لأن الآلهة الحجرية قد وثبت إلى الحياة من بين فتوق السماء متوعدة بسيوف برقها وحراب رعدها.

واحدة من القصائد الست "نوم الشجاع" مكتوبة في نصين، الأبيات الثلاثة عشر الأولى في النصين متماثلة، ولكن للنص الأول مقطع ختامي من ثلاثة أبيات، وللنص الثاني مقطع ختامي من ستة أبيات، وفي كلا النصين أصبح صبي الحزر الإيجية (ذو الركبة المتسلخة والملازم الميت في الحملة الألبانية رمزين صامدين للإنسانية المقاتلة ضد القوى الغامضة في العالم، التي لم تعد بعدُ متناقضات من الخير والشر، بل ألما مبرحا للربط بين

الخير والشر معا، تلـك القوى البانية والهادمة في لحظة واحدة، السَّوْرَة الحيوية élan Vitale في الطبيعة كلها، كما عند برجسون وعند كازنتزاكيس. لقد تعذب إيليتس، مثل شيطان ميلتون بـ "فكرة النعيم" الضائع والعذاب الأبدي معا، لأن صناديده الشجعان" قد اندفعوا رأسا من السماء الأثيرية مشتعلين/ بالخراب الشنيع والحرائق / إلى جحيم بلا قرار"، لكن شجعانه لايرسفون في السلاسل الصلبة وجحيم العقاب، لأنهم في هذه الأعماق الجحيمية قد أطلق سراحهم بواسطة الزمان، ودماؤهم السحيقة القدم تعود مرة أخرى إلى عروق العالم حيث تبدأ في التحول الشاق ثانيةً إلى شمس جديدة تبدد "القوى التي تقيم هياكل الظلام".

تبدأ إعادة خلق العوالم من البداية التي تتوقد فيها الخليقة بأحاسيس الانتقام، والتي يعبر خلالها الشجعان" وبداخلهم أوامر الذبح الحاسمة" ولكنهم لم يعودوا بعدُ كالشبان الأبرياء تحت سماء بحر إيجة الصافية، بل "كفلاحي اللازورد اللانهائي" زراع مروج لا تحد. وهذا ما تنتهي به الحركة الرئيسية في كلا النصين. في المقطع الختامي للنص الأول يصور الشجعان في شجاعتهم المأسوية، تحط النسور لتلتهم أحشاءهم المتهرئة وتحسو دماءهم، ولكن وقع خطاهم قد امَّحى الآن، ولا يشبهون الشاب الإيجي الذي "يشرب الشمس الكورنثية/ وهو يقرأ صفحات المرمر "إنهم الان "يقرأون العالم نهمين بعيون مفتوحة إلى الأبد"

في المقطع الختامي للنص الثاني يتحول الشجعان في وقت لازمن له، يعيدون "للأشياء أسماءها الحقيقية" في "جيشان البراءة" في عالم يتهرأ من الجهل (لأن الشر، عند أفلاطون، لا يعود في النهاية إلى طبيعة شريرة بل إلى الجهل) وحيثما اقترف الرجال خطاياهم بجهالة فإن الفضيلة ترحل، وإيليتس يوحد الفضيلة بكل من مريم العذراء واليونان ذاتها، فتاة تجترح المعجزات، عذراء ذات جسد غلامي نحيل، خيرة بالفطرة، مقدامة وشجاعة وذات بهاء وامتياز من كل نوع.

الفضيلة، التي تعلو إلى مجاهل الظلمات الشاسعة وتعمل على تحويل الظلام إلى نور، هي التجسيد لكل الفتيات الإيجيات عند إيليتس، لقد عانق العنصر المأساوي في الحياة، الأطماع والظلم وقوى الظلام، متمسكا بيقينه في شجاعة رواقية، إنه يعترف بالشر باعتباره عنصرا مساويا للخير، ولكنه يظل يقرأ العالم بنهم عينين مفتوحتين إلى الأبد، بحنين الغربة الذي يتصاعد كما لو كان من "الشقوق في نوم الشجاع".

لقد وصل إيليتس إلى فردوس أخلاقي متحرر من تزييف اللاهوتيين في قصيدته "سبعة أيام للأبدية" يشتاق الشاعر أن يحتفظ بالصوت الذي تصدره زهرية وهي تتكسر بحنان وسعادة عظيمة من تحطمها "في نفس اللحظة التي تتلقى فيها ابنة البستاني قبلة مختلسة في الفناء الخلفي"

ليس النور هنا ببساطة هو إشعاع شمس وسماء، وليس الإشعاع الذي يصعد فيه الملازم هو إشعاع قيامة الرب، بل ما يشع من "حريق هائل يلتهم كل ما أملك" لأن الشاعر قد عرف بطريقة مأساوية أن معظم الحلبة المروعة ليس هو ما يسمع في عالم الهرج والمرج أو قعقعات القنابل بل هو "في السكون المطلق"، فيما لا يُحتمل من الوحدة في قلب الإنسان، هكذا يولد الجمال، لا في الحلم أو الانسحاب، بل في ذلك النضال ضد الشر الذي منه تتفتت النجوم وتنتشر.

٦- له المجد

أورد البروفيسور كيمون فريار في هذه المقدمة تحليلا رائعا لكبرى قصائد إيليتس "له المجد Axion estí" باعتبارها سيمفونية هائلة تقدم المنجز الأشمل لأفكار إيليتس الدينية والفلسفية والجمالية والأخلاقية، والمواقف الوطنية والقومية والعالمية، ومغامراته الإبداعية الشكلية اللغوية، وغوصه العميق في تراث وطنه والتراث العالمي والحياة المعاصرة الخ.ولكني وجدت أن الحديث الرائع عن القصيدة- الديوان يضيع أثره بسبب اكتفائه بترجمة أجزاء مختارة منها فحسب، وقد فضلت تأجيل الحديث عنها على وعد بأن أقوم بترجمتها كاملة مع مقدمات ودراسات وتحليلات لكيمون فريار وغيره من المهتمين بدراسة هذه القصيدة- الديوان بالتحديد.

٧- فيلاناتاشا وكونستانتينوس باليولوغوس

بعد نشر قصيدة "له المجد"، قضى إيليتس المدة ما بين مارس ويونيو ١٩٦١ متجولا في الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة من الدولة، فزار عددا كبيرا من المدن، وحفاظا على التوازن قبل في ديسمبر ١٩٦٢ دعوة من الاتحاد السوفييتي لمدة شهر زار خلاله عددا من المدن، وفي السنوات القليلة التالية شغل نفسه بجمع وتصحيح كتاباته النثرية ومقالاته الأولى، وفي العمل على كتابة قصيدته الطويلة "ماريا نيفيلي" وهي حوار بين شاعر وفتاة، وتستمد صورها لامن الطبيعة، بل من عالم المدينة أساسا. بعد الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرالات في ٢١ إبريل ١٩٦٧، ولم يكن يستطيع الكتابة في مناخ القمع، ولما كان يشتاق لتنفس هواء أكثر حرية، فقد سافر إلى فرنسا حيث عاش من مايو ١٩٦٩ حتى يوليو ١٩٧١ وأمضى صيف ١٩٧٠ في زيارة أصدقائه في قبرص. وفي إقامته بباريس بحي سان جرمان دي بريه، مسليا أصدقاءه ومستمتعا بهم، انصرف عن كتابة قصيدته المستمدة من عالم المدينة، وبحنين الغربة استعاد واستدعى مرة أخرى مشاهد بحر إيجة، شمسه وبحره ونوره، كما تعود عدد كبير من شعراء اليونان الذين عاشوا في المنفى خلال العصور، وقد سأل في قصيدته "تنبو": "أيها الشاعر المنفي، أنبئني، ماذا ترى في القرن الذي تعيشه؟" وفي القصائد التالية قدم شهادة لا عما رآه فحسب، بل عما تصوره في الضوء الحقيقي للمخيلة أيضا، لأنه " قد حان الوقت للأحلام أن تنال ثأرها".كانت هذه فترة إنتاج خصب، نتجت عنها قصائد أربع، طبعت كل منها طبعة

فاخرة في كتاب مستقل: فيلاناتاشا، وموت وقيامة كونستانتين باليولوغوس- كتبتا في ١٩٦٩، وقصيدتا مونو غرام، وهيمنة الشمس في ١٩٧٠، ومجموعة قصائد شجرة النور، والجمال الرابع عشر في ١٩٧١.

قبل ذهاب إيليتس إلى باريس توقف بعض الوقت عند فيلاناتاشا، التي يملكها صديقه القديم ومواطنه "ترياد" الخبير الشهير بالفن وناشر الكتب الفنية ومحرر المجلات الفصلية التي صنعت ملامح العصر. وفي "سان جان كاب فيريه" بين نيس ومونت كارلو، في فيلا مقامة وسط حديقة مشهورة مرصعة بكنوز لا تقدر بثمن من أعمال مشاهير الفن الحديث، كتب إيليتس "فيلاناتاشا" وهو ساخط على مجرى الأحداث السياسية في اليونان، مدخّنا أول سيجارة حرة بين النباتات ذات الأسماء الغريبة، والشاعر- طائر يغني في زمن الحرب- يربط في الحلم خلال البحار المفتوحة على بعضها البعض بين اليونان وبين مقاطعات فرنسية بحر أوسطية.

ومثل ماتيس، عبقري التلخيص والتبسيط وإحداث الثورة في الرسم بالتحول من قواعد توزيع الظل والنور والمنظور ودرجات اللون إلى المسطحات المستوية والتكوينات البسيطة، حلم الشاعر بثورة بعيدة عن الشر والحرب.

في قصيدة "موت وقيامة كونستانتين باليولوغوس" يلتفت إيليتس لفتة تقدير لتراثه البيزنطي، فإن كونستانتين باليولوغوس آخر أباطرة بيزنطة، الذي مات سنة ١٤٥٣ مدافعا عن أسورا القسطنطينية ضد الأتراك العثمانين، يرمز إلى سقوط بيزنطة وانبعاثها في وقت واحد، وأصبح عند الشعب اليوناني واحدا من الأبطال أشباه الآلهة الذين ليس لموتهم الطقوسي إلا معنى الكمون أو البيات الشتوي استعدادا لقيامتهم في مزيد من البهاء الساطع، ولأن الشاعر في هذه القصيدة هو كلا الملك المحاصر في العصور الوسطى والشاعر المنتمي لتراث اليونان الخالد الذي يتعرض لهجوم الأتراك الأحفاد في هذا الجيل المعاصر، فإن إيليتس يستدعي أحيانا طفولته في جزيرة سبيتساس، وغالبا ما يتحدث في العديد من قصائده على مستويين، مستوى العام أو الموضوعي، والآخر الشخصي أو الذاتي، الملك والشاعر يندمجان في واحد وهما يحاولان الحفاظ على التراث اليوناني وأشعاره ليستلخصا "الظهيرة من قلب الظلام، والحياة كلها من وهج النور" وليقوما قيامة البعث فوق الحطام والأطلال والخيول والجثث الملقاة على أكوام النفايات، الملك برمح مكسور في يده والشاعر بكلمة غير مكسورة بين أسنانه، كلاهما يناضل لإقامة الفردوس على معيار قلبيهما.. هما آخر الهيللينيين.

حينما بلغ إيليتس الستين من عمره أصبح مشغولا أكثر فأكثر بالطبيعة السحرية والإيحائية للشعر، فقصائد "شجرة النور" تقدم الشهادة مرة بعد أخرى على هذه الرسائل المفاجئة من عالم المطلق المتعالي في خفقات وومضات تتكشف على لسان فتاة تطير بالبشرى أو بالإغراء الجنسي، أو تتكشّف في طيران طائر أو همس صخرة أو شجرة، في

غطسة في الشمس أو البحر، في ذكرى طفولة ملاك، حينما يكون الطفل والمراهق فيما بعد ما يزال يتوهج بفكرة أرض أخرى طاهرة الجوهر، هكذا في قصيدة "أحد السعف" يوم دخول المسيح الظافر إلى القدس ودخول الشاعر إلى فردوسه، وتتكشف في حلم فتاة ذات إزار محلول العرى، وفي طائر يرف وفي منقاره غصن، كل ذلك يصبح حاملا للرؤيا، حينما يبدو كل شيء معلقا في الهواء في لحظة ثابتة مقتطعة من الأبدية. لو كان ممكنا أن "تُقرأ" الطبيعة قراءة حدسية، لكان ممكنا أن تبوح بالسر النهائي في ومضات ورسائل مفاجئة حيث كل أسئلة الإنسان حول الـ "لماذا وإلى أين" قد تجد الجواب.

إنها – على أي حال- نفس طبيعة هذا النوع من الإلهام الذي يجد المرء حين اليقظة من الغشية المؤقته أنه قد نسي الجواب. إن الكلمات تخون الرؤيا دائما، ولذلك فإن الشاعر في قصيدة" الحقيقة ثلاث مرات"، وهو يشعر في قنوطه" بأن "ما يجب أن يوجد يكون موجودا"، يفتش عن الحقيقة في الطبيعة والطيور والبرك الصخرية، لأن الكلمات ليست كافية.

في قصيدة" مالا يمكن فعله" يدرك أن فيما لنا من المكان والفضاء في هذا العالم، حيث يطبق الظلام إلى الأبد في وهلة خاطفة ويمضي البشر إلى نهايتهم ولا يبقى شيء ذو أهمية ليقال، يمكن للشاعر فحسب أن يعادل نفسه بما ينتشل من حطام سفينة الزمن وأن يحاول فعل ما لا يمكن فعله وأن يقول مالا يمكن أن يقال، هذا هو يأسه، وهذا هو خلاصه.

من الصور الأساسية للحظة الإلهام عند إيليتس صورة الغوص في الماء، وهو في نفس الوقت غوص واقتحام للشمس. في هذه الصورة تصبح المتناقضات شيئا واحدا (سواء كانت الماء والنار أو الحياة والموت)، وطريق الصعود والهبوط عند هيراقليطس يفضيان إلى غاية واحدة، وهذا يُرى على أفضل ما يكون في جزيرة "ديلوس" مسقط رأس "أبولو" إله الشمس، الذي تفوق أشعته قوة صواعق "زيوس" كبير الآلهة في ميثولوجيا إيليتس. وهكذا يمضي الشاعر في خضم هذه الميثولوجيا داخلا إلى عالم أفلاطوني من التجريد الصافي والنقاء، ويمضي مباشرة" إلى قلب الشمس" ومن هذا التعميد يخرج بريئا كالطفل الوليد متوهجا بالنور السماوي، ولكن هذه الولادة الجديدة، هذا البعث، استحقاق لأولئك الذين تعلموا أن يقولوا: "أن أحب" فعند إيليتس كما عند دانتي، لا يمكن تمجيد الخليقة إلا بالحب وحده

وهكذا أيضا في قصيدة" الحقيقة باليد المحترقة" في لحظة يأس قاتل، يغوص في عالم وحديقة تحت الماء، حيث يكون الشاعر، بالرغم من أنه مقلوب رأسا على عقب، القدمان أعلى والرأس أسفل، يرى كل شيء في مكانه الصحيح، لأنه حين اصطدم بالقاع، "وثبت الشمس طالعةً، وانبسط الأثير كالأشعة" انطلق بالصراخ في وجد وعرفان: "أيتها الشمس يا شمس يا شمسي الوحيدة / خذي كل ما أملك خذيه كله/ واتركيني فخوراً/ بأنني ربما

لا أجود بدمعة واحدة / علني ألمسك فحسب، حتى لو احترقت". إنه يمد يده بفداء وتضحية، ولكن الحديقة - مفقودة ومستعادة ومفقودة مرة أخرى - تتلاشى، والشاعر يواجه الحقائق الدنيوية من حوله مرة أخرى، ويواجه كوارث وضع الإنسان حيث عليه أن "يناضل ضد العدم وضد المستحيل في هذا العالم"، وما يتبقى هو اليد المحترقة التي تنبهه إلى أن الحلم، أيضا، هو حقيقة من الحقائق.

إن تمجيد النور يبلغ مداه في القصيدة عنوان الديوان "شجرة النور". وإذا كان الشاب في قصيدة "الحديقة باليد المحترقة" يفكر في الانتحار في لحظة اليأس، فإنه هنا يفكر في الانتحار في لحظة من السعادة الغامرة، لأنه ربما لا يصحو مرة أخرى في عالم متحرر من الوهم أولا يلاحظ ما أنزله الإنسان بالطبيعة من دمار، إنه لا يستطيع أن يواجه عالم النقص، وهو يستدعي فردوسا مفقودا ويحنو على "الإنسان المظلوم" في أعماقه.

وحين يتذكر كيف أنه "مرة أو مرتين تحلى الكامل أمام عيني ثم لا شيء بعد ذلك" في لحظة من الإلهام كهذه تأتي في برهة عابرة غير متوقعة وهو يحني هامته من النافذة ليرى إلى أي مسافة في الفناء الخلفي يستطيع أن يصق، هناك يبقى معلّقا في الأبدية، منبهرا بأن يكتشف أنه الآن إنما ينظر إلى "الحقيقة"، إلى الأوراق المستديرة لشجرة النور "مشدودة إلى الأبد بواسطة المجهول"، ومثلما يجب على الإنسان أن يتقدم "بعناد في النور" بين الخرائب والكوارث وآثار الحرب، فهكذا تزهر شجرة النور وتتوهج بين الحشائش العطنة ونفايات خردة الحديد، بالرغم من أنها لا تُسقى ولا تلقى رعاية. وكما أن الملك والشاعر هما واحد في "باليولوغوس"، فإن شجرة النور والشاعر هنا قد توحدا في مصيرهما، وهنا أيضا الحب هو همزة الوصل: حب المرأة وحب الكمال.

وعلى الرغم من أن عشق الحرية يتخلل كل حياة إيليتس وشعره، ومتضمن في جوهر عمله الشعري باعتباره جزءا من كل، فإنه ليس من طبيعته أن يكتب بشكل مباشر عن الموضوعات السياسية، لأن هذه الموضوعات لم تكن عنصرا فعالا في شخصيته كما كانت عند شعراء آخرين مثل يانيس ريتسوس أو كوستاس فارناليس أوالموسيقي تيودوراكيس، ولا ينكر إيليتس شرعية هذا الانخراط أو الالتزام السياسي أو مثل هذا التعبير عند الآخرين، وإن كان يعتقد أن كثيرا من الأعمال على هذه الشاكله يتجه إلى أن يكون عملا مؤقتا سريع الزوال إذا صدر عن الذهن أو المعتقد السياسي وحدهما ولم يصدر عن ضرورة أو احتياج جمالي.

وقد أوضح موقفه السياسي في مناسبات عديدة، بالأخص عندما كانت توضع الأمور الأخلاقية والجمالية على المحك، فمع أنه قبل جائزة الدولة الأولى في الشعر عن قصيدته "له المجد" سنة ١٩٦٠ ووسام الفينيق لدوره في الأدب اليوناني سنة ١٩٦٥، ومنحة مؤسسة فورد سنة ١٩٧٢، إلا أنه رفض الجائزة القومية الكبرى للأدب التي منحت له سنة ١٩٧٣ ممن جاء بهم الانقلاب العسكري سنة ١٩٧٦، ومع ذلك فإنه يؤمن بأن دور

الفنان يجب أن يكون ثوريا وأن يحتقر كل أشكال الحكم الديكتاتوري مهما كان توجهه السياسي، "كل أشكال السلطة من طبيعتها أن تكون عدوة للفن - كما يقول في إحدى مقابلاته الصحفية- لأن الفنان أساسا عند من هم في السلطة شكاك مريب وشخص خطير، حينما شكوتُ مرة إلى بيكاسو، نظر إلي، كما أتذكر، بعينيه السوداوين الواسعتين، كما لو كان مندهشا، ثم قال معنفا: "ولكن ألست مسرورا؟ إذا لم تكن القوانين الراسخة رجعية فكيف يمكن لنا أن نكون ثوريين؟" ثم انفجر ضاحكا حتى لا ينفجر بالدموع"

لقد قام الشعراء خلال العصور بتجريد المرأة المثالية، وبالرغم من أن إيليتس قد شعر بجاذبية هذا الكمال المثالي، إلا أنه آثر أن يستدعي نموذج المرأة من خلال التجربة المعيشة للحب ذاته ومن خلال الجسد الملموس لامرأة شابة، فعنده أن المرأة الإلهة لا يمكن أن تكون منقسمة بالتساوي إلى أفروديت الشائعة بين البشر وإلى أفروديت ربة الفجر، لأنها كيان من جسد وروح، من شبق وعشق. إن العنوان الفرعي لقصيدته "شجرة النور" هو "والجمال الرابع عشر" إشارة إلى اعتقاد الشيعة الطائفة" ألمحمدية" بأن النبي وابنته فاطمة والقادة الاثني عشر، الأئمة، يشكلون عددا مقدسا سابقا على التاريخ، وعلى جميع النساء الجميلات أن يكن تحت هيمنة القمر في ليلته الرابعة عشرة. إن القمر في هذه الليلة هو أعلى صورة ممكنة للجمال الجسدي، أما جمال هيلانة ملكة طروادة وفتيات بحر إيجة، فإنه الممر إلى ليلة البدر الخامسة عشرة، حيث التجسد الإنساني مستحيل، وحيث جميع النساء يكن مجردات كالمثل الأفلاطونية، مثل بياتريس دانتي، باقيات للأبد في حلم مسحور، فإذا أريد استدعاء الفتاة- المثال المجرد، فإن ذلك لا يجب أن يكون بإعلاء وتسامي الجسد والتجربة الجنسية ذاتها، بل من خلالهما. حقا إن غصة الألم في الإشباع الجنسي، حتى النشوة، ليست شافية في شعر إيليتس كتجربة العلاج بالكي فحسب، ولكنها، هي ذاتها، تقوم مقام التطهير. إن أصداء ولمحات من مثل هذا التلميح الجنسي توجد في شعر إيليتس السابق، وفي قصيدة "نوح الآخر" يقول بصراحة: "الآن حان الوقت قلت لكم، لكي يبدأ الشبق عمله المقدس" فإن على الجميع " أن يُستنقذوا على سفينة نسكي" ولكنه الشبق الذي يتخلل وينبض خلال معظم القصائد في "شجرة النور" وبالأخص في قصيدة" عن الجمهورية " في حلم يقظة ذات ظهيرة ساطعة، يرى الشاعر رجلا ملتحيا يقوم بحركة واهنة بقدر ما هي ثورية وانقلابية كحركة محولجي القطارات، حركة كأنها وجهة القدر، كما يعبر عنها في مفتتح قصيدته "مونوغرام": "لكي يحول مسار الخطوط في أكفنا إلى وجهة أخرى" هذه الحركة التي اشتهاها الجميع ولكن لم يجرؤ عليها أحد " تغير وجهة الأخلاق السابقة، لأنها تطلق من قفصها طائرا يتحول إلى امرأة تفتح ساقيها بإغراء فوق سطوح القرميد. قبل هذه اللمحة المرهفة من الدعوة والترغيب كانت خيول الرؤيا الآثمة ومن يتبعها من الغوغاء تندفع مهرولة إلى غمرات" جحيم الفردوس"، انه إستخدام إيليتس المعتاد للتقابلات في هذه القصائد حيث تأخذ ممارسة الجنس مكانها في السماء وتطفح بها الحياة في حلم نديّ،

مدفوعا بوحي الرؤيا التي تكشف أن الحب والشبق يكونان في الفردوس كيانا واحدا لا ينفصم.

تناول الشاعر قلمه بحماس مشتعل ليكتب "عن الجمهورية"، عن تلك اليوتوبيا حيث أشكال الحب وممارسة الجنس قد تكون مقبولة من حيث جمالها وأخلاقيتها، وتماثل في تنوعها "تنوع الطيور في أساليب طيرانها شيئا فشيئا بعيدا بُعْدَ اللانهاية".

في قصيدته "الأوديسة" يحلم "بحار حديقته" في شعره الباكز حلم السفر بينما يترجرج بيته صعودا وهبوطا كالقارب، يخوض مغامرات عديدة في حلمه وفي تراث وطنه، ومعه حكماء الشاعر السبعة كالحراس، وهم أنفسهم خليط من الحسية والتصوف، والصبي البحار منغمس في ترف الشرق الأدنى، ترف ألف ليلة وليلة الممتع، مشتاقا كالمتلصص أن يرى من ثقب الباب لمحة من امرأة "كل من ورد أصفهان وشهرزاد الشهيرة" وهي منفرجة الركبتين في استرخاء وتكشف "قنفذها البحري للحظة واحدة في أعماق البحر غير المكتشفة" إن الرجل الناضج يدرك أن الشيء الوحيد الذي تقدر عليه القوة هو القتل لا الحب والنشوة، وأن الفعل أخلاقي أو غير أخلاقي، خير أو شر، قبيح أو جميل، كما هو مفهوم وناشئ في عقل الإنسان ذاته فحسب، وأن "الربيع. حتى الربيع من صنع الإنسان" ومن وجهة نظر إيليتس، فإن أي شيء قد تحول إلى فن بواسطة الحب، لا يمكن بأي حال أن يكون لا أخلاقيا، وهكذا، في قصيدة "الفتاة التي جلبتها رياح الشمال"، ومرة أخرى في لحظة إلهام ، يصور إيليتس فتاة مستثارة توشك أن تطير، ذات شكل ملائكي، تجلب الخلاص والبعث، بينما تتفجر من ورائها دوائر من النور، تاركة "ما يشبه الإشارات المبهمة للفردوس" وفي اللحظة التي يراها فيها "تتسع المسافة بين ساقيها" وتبلغه رائحتها بعد ذلك كالخبز الطازج والعرقسوس البري في الجبل" يدخل كنيسة البلد ليشعل شمعة لأن إحدى أفكاري قد أصبحت فكرة خالدة" لأن الحواس ومباهجها- عند إيليتس- مقدسة وليست فارغة من المعنى.

في كل هذه القصائد كانت تجارب إيليتس في الأشكال الجديدة من البناء والترقيم تتقدم، متأثرا بممارسته السيريالية في قصائده الباكرة، كما رأينا، وقد هجر في أغلبها الأشكال التقليدية المعتادة لعلامات الترقيم، أو استخدمها بحذر ودقة كلما أحس أنها ضرورية جدا. لقد أراد للقارئ أن يدرك إيقاعاته، لا من تفاعيل وزن البيت فحسب، بل ومن صعود وهبوط المقطع الشعري كاملا أيضا.ومن ثم فقد كتب مقاطع مدورة كأنها بيت شعري واحد حيث تقوم الفراغات والمسافات البيضاء مقام علامات الترقيم لعل القارئ يعرف أين أراد الشاعر أن يتوقف أو يصمت أثناء تدفق بيته الممتد على هيئة مقطع كامل، وقد سمح هذا الشكل لإيليتس أيضا- أو ربما دفعه- ببناء نحوي وتركيب لغوي أكثر تفككا وحرية، ومنحه هذا الشكل أداة ووسيلة لشعر أكثر طواعية وتدفقا وانفعالية مما كتب من قبل، هذا النوع من القصائد يوجد في مجموعته"نوبات الندم"، ولكن لما

كانت القصائد الأخرى أكثر إحكاما والصور أكثر تماسكا ومعقولية، فإن القصائد في "شجرة النور" و "باليولوغوس" أكثر إشراقا ووضوحا، وخيالها أبعد انفساحا وانطلاقا، وتعتمد في فهمها على الشعور أكثر مما تعتمد على العقل.

٩- مونوغرام

والمونوغرام شكل أو علاقة ترمز إلى شخص ما وتتشكل من كتابة الأحرف الأولى من اسمه بالحفر أو الخط أو التكوين الزخرفي بطريقة متشابكة ذات جمالية خاصة.

ويقدم إيليتس في هذا الديوان تجربة وخبرة متميزة في بناء أجزاء القصائد وفقراتها باستخدام التكرار الدقيق للجمل الأولى أو الأخيرة من مفتتح الفقرة أو نهايتها بطريقة دائرية والمزاوجة الدقيقة بين الأبحر ذات التفاعيل القائمة على الضربة الواحدة أو ثنائية الضربة، إن التصميم البنائي المعقد، على أي حال، هو وحده الذي يقيد قصيدة الحب "مونوغرام" كما لو كانت واقعة في شبكة غير مرئية، وعلى الرغم من أنها قصيدة حب، وإلى حد ما أغنية، تتدفق بغنائية عاطفية، فإن هذه القصيدة القصيرة نسبيا قد تم تصميمها بمهارة عالية مثل القصيدة الملحمية الكبرى "له المجد"، فقد حاول إيليتس أن يمنح قصيدته هيكلا صلبا يحتوي ويحمي قلبها النابض وشرايينها وأعصابها في دراسة تشريحية للحب. وقد لاحظ بمحض الصدفة أنه في قصائده الباكرة التي همَّ بجمعها تخضع في عدد قصائدها أو مقاطعها خضوعا عفويا للعدد "٧" أو لأضعاف ذلك العدد المحظوظ، وتصل التنويعات على العدد "٧" إلى أقصى فاعليتها في قصيدة "مونوغرام" فالقصيدة تتكون من سبعة أجزاء، كل جزء يحتوي على سبعة أبيات أو مضاعفاتها التي تتزايد حتى جزئها المركزي، ثم تتناقص بالتناظر مع أولها حتى النهاية لتصل إلى العدد "٧" هكذا:

الفقرة	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
عدد الأبيات	٧	٢١	٣٥	٤٩	٣٥	٢١	٧

وقد هيمن هذا العدد على ترتيب التفعيلات وضربات الأوزان هيمنة محكمة، مما جعل القصيدة كلها بناء سيمفونيا شديد الثراء بالموسيقى الخارجية بالإضافة إلى الموسيقي الداخلية، ولا مثيل لها عند أي شاعر آخر.

١٠- هيمنة الشمس

ظن إيليتس أن القصائد التي كتبت خصيصا للغناء لا يمكن أن تصمد وحدها بغير الموسيقي المصاحبة لها، ولكنه استجاب أخيراً للإلحاح وجمعها في كتاب "طبية العشق" ١٩٧٢ الذي يحوي سبع مجموعات من الأغاني، مجموعتان منها عبارة عن ترجمات من بريشت ولوركا، وأربع مجموعات كل منها مؤلف من سبع أغنيات، وقد وضع ألحان

بعضها ميكيس تيودوراكيس وغيره من الموسيقيين الآخرين، وقد بدأ إيليتس ديوان "هيمنة الشمس" أو سيادة أو عظمة أو جلال الشمس كواحد من هذه المؤلفات المخصصة لـ "مانوس هاذيذاكيس"، ولكنه بعد انخراطه طويلا في العمل ضمن هذا الشكل الغنائي، رأى أن هذه الأغنية المميزة قد تطورت وأصبحت شعرا قائما بذاته على أساس من شكل الأغنية الشعبية، وطبعها في كتاب بصرف النظر عن إمكان وضعها في قالب موسيقي. لقد أقام بناءها على أبيات سداسية بأوزان العديد من الأغاني الشعبية، والأبيات ذات الأوزان الرباعية على إيقاعات أغنية هدهدة الأطفال التي سمعها من أحد أصدقائه، فكانت الحصيلة أغنية مبهجة حلوة مرة تستحق أن توضع كخاتمة لكل أبيات إيليتس عن الشمس أو التتمة المضيئة لديوانه الثاني "الشمس الأولى" تعلن الشمس بإشعاعها العذب من فلكها الرواغ المتعالي فوق الأرض أن اليونان هي أحب البلاد إليها، بحقولها الصفراء من القمح، وبحارها الزمردية، وصبياتها راكبي الدلافين، وفتياتها العاريات، ومغروريها الحمقى، فتجيب جوقة من اليونانيات أن هذه ليست هي اليونان التي يعرفنها، فأرضهن هي أرض البؤس والمشقة، حيث يرسل أولادهن بانتظام ليقتلوا في الحرب، وحيث "كل شجرة زيتون عجوز/ تقيم أود أسرة كاملة" فترسل الشمس من مكانها العالي المهيمن رياحها الأربع لتطوف بالأرض وتستقصي الأمر. تشهد الرياح أن اليونان هي حقا أرض التعاسة كما أنها أيضا أرض الفردوس، حينئذ تشفق الشمس على ملامح الطبيعة المتناقضة للأرض التي اعتبرتها مملكتها الخاصة. إنها تقر ببؤسها ومعاناتها، باضطهادها من أصحاب القوة، ومع ذلك فإنها تعجب من الطبيعة المتناقضة لشعبها- نزواته وأهوائه، حبه لأرضه وخروجه منها إلى المنفى، تعاطفه مع التمرد والطغيان والبطش برجاله العظام في وقت واحد.

ومع ذلك فإن الشمس تعلن للجنس البشري، أنها، حتى هي الشمس، يجب أن تدفع أغلى ثمن من أجل نورها الخاص، فإن شيئا لا يُنجز بغير المعاناة والابتلاء، وأن السبيل الوحيد أمام البشر هو أن يثابروا وأن يتحملوا لمواجهة الطغاة والجلادين القتلة والمجرمين، وأن يضعوهم في طاحونة المستقبل، حتى يمتلكوا الإيمان الواثق بأن العدل والحرية سيسودان حتما، وأن الشر ذاته مجبر بالضرورة على أن يصبح خيرا، لإن "الشر ذاته يستولد اليوم المبارك - وكل معبر ضيق سيفضي إلى الطريق الوسيع".

تنتهي القصيدة بتشخيص اليونان في صورة زورق مجنون قد خوّض منذ القدم في أنواء العناصر العاصفة، على اليابسة وفي البحر كليهما، مغمورا بالتفاؤل الأحمق الساذج في كل الكوارث، حتى في أزمنة الخضوع لتآمر البحارة الدهاة والربابنة المعتوهين والقباطنة التافهين، يصرخ الشاعر:

"لقد أبحرنا سنوات للوصول إلى النهاية، وما زلنا نطفو على غير هدى وقد استبدلنا ألفا من الربابنة لقارب السلوان هذا"

إن الشمس تعرف الان أنه لابد من أن تتلقف بين أحضانها النارية المطهِّرة الشرورَ التي يتعشقها هذا العالم بوله، ولكن مثل هذا الضرام سيساعدها فحسب كي تحترق وتتوهج بمزيد من اللهب المتأجج، والنور المتعالي للروح وترد الشمس على النساء اللائي يبكين بؤسهن وأولادهن الذين تخطفتهم الحرب، ترد بشفقة:

"حيثما يغزل وينسج الظلام والنور طوال اليوم تحولوا إلى شموس صغيرة صغيرة، يا أعزائي، وانتشروا كالهباء".

في الفصل الأخير من "مخلّصو الرب" يشبه كازنتزاكيس العلم بشجرة من النار، ويعلن من ثم: "في قلب النار والدخان، مستكنّاً على ذروة الحريق، طاهرا رابض الجأش رائق البال، أمسك بالثمرة الأخيرة للنار- النور "وهكذا يفعل إيليتس، وسط الأغصان الشفافة لشجرة نوره، يستجمع تحت ظلها المتوقد كل ما أحب أو ما تحول إلى حب: وطنه وعذاباته وأولاده وبناته الإيجيين وتحولات الشر إلى الخير- عبر أخلاقية جديدة رفيعة- وإلى العدل.

إن مهمة الشاعر، كما قال إيليتس ذات مرة، "أن ينثر في الظلام قطرات من النور" وقد نجح في هذه المهمة، لأن جميع قصائده يمكن الآن أن نحكم عليها باعتبارها ميتافيزيقا النور، وبريق شمس مهيمنة.

توجهات

"فلْترحلْ في العاطفة والضجة الجديدتين"

رامبو

عن بحر إيجة

الحب
الأرخبيل
وصدر سفينة زبده
ونَوْرَسُ حلمه
فوق أعلى صواريه يُرَجِّع الملاّح
أغنيةً

الحب
أغنيتُه
وآفاقُ رحلته
وصدى حنينه
فوق صخرةٍ حبٍ شديدةِ البلل تنتظرُ الخطيئةُ
سفينةً

الحب سفينتُه
والحريةُ من مخاوف رياحه الموسمية
وانقطاعِ أمله
في ذروة تلاطمه تُلَوِّحُ صخورُ جزيرةٍ
بالعودة إلى الوطن.

الفتيات اللائي خطوْن قليلا

الفتيات اللائي خطوْن قليلا
بالَغْنَ في الكلام عن الشمس

ضحكن! وأية حركة
لأعواد الليْلك الأبيض
لأوراق الشجر التي غطّتْ
بتوجُّسٍ اهتزازاتِ الظلال الروّاغة
والأعراسَ السريةَ لقطرات الماء

منذ وقت قريب كان عرسُ الأحلام! لايتنكّرُ لهن الزمن
وتحت دِفْءِ زَغَبِهِ يعثرْن على خيالهن.

يصْطَخبُ التيار

يصطخب التيار
السمك الذي يلْتمسُ صفاءً في مناخٍ أخر
يرمي بما يعتقدُ إلى العدم

لستُ اليومَ كما كنتُ بالأمس
فقد علّمتْني دوّاراتُ الريح أن أحسَّ
بأنني أفْتضّ الليالي وأقْلبُ باطنَ المسرات ظاهراً
أنثر السلوان بفتحْ برجِ حمامٍ
راجلاً من الباب السريِّ للسماء
في طيشٍ بلا كلمة
مثل صبيٍّ يُخبّئُ قرنفلةً
في شَعره.

مَيْعَةُ النهار

ميعةُ النهار أولُ زنبقةٍ للفرح
زهرةُ الآس العجوزُ تلوّح برايتها
صدورُ القُبّرات ستنفتح للنور
وأغنية سوفُ تحلّق في قلب الهواء
باذِرَةً من اللهب حَبَّ الشعير الذهبيّ
في الرياح الخمس

مُطلَقةً سَراحَ جمالِ أرضيّ.

نوافذ على الفصل الخامس

(١)

هل تعرف الشَّعْرَ المحلولَ الذي كتَبَ الرياحَ؟ الومضاتِ
التي انطلقت بموازاة الزمن؟ الصمتَ الذي أدركَ ذاته؟

ولكنكَ لعبةٌ ليلية تُبهجُ ذاتَها في الاندفاعات الممطرة.
تبهج ذاتَها بالصواري الثلاثية المشْرَعَة على البحر.
أنتَ حالٌ غيرُ مكتملةٍ تهيْمن وتستقرُّ حينما تكون السفينة قد تحطمتْ
أنتَ كارثةٌ مموَّهَة

آه، لعلَّ هذه القوى التي تعرف كيف تُنْشِبُ أظافرَها تجيء
خاصرةُ أفكاري سوف توائم شكلَها المعقوف
حينما تصّاعدُ الدوائرُ فتغدو أكبر، سوف تكتسي السماءُ
المباغتةُ بلون خطيئتي قبل الأخيرة

بينما ستكون خطيئتي النهائيةُ ما تزالُ مفتونةً بهذه الكلمات الوحيدة.

(٢)

وَقْعُ أقدام ينتهي عند حافّة السَّماع. زوبعةٌ مُغَرْبِلَةٌ تندفع
إلى الصدر الفتيِّ الذي يُسرف في تبديدِ
وهجِه الذي لا يمكن إدراكه

تملك الرغبةُ قامةً سامقةً والغيابُ يحترق
في راحتيها
الرغبةُ تَهَبُ الوجودَ للطريق التي تودُّ أن تقطعها
إنها ترحل
وحَشْدُ من الأيدي يُلْهبُ في سبيلها أقصى
أماراتِ إعجابه!

(٣)

كم هي جميلة! لقد بدتْ في شكل تلك الفكرة التي
تستْشعرها حين تشعر أنها منذورة لها

(٤)

عطايا الصيفِ لي قد خبَّأتْ نفسَها في كرومٍ لا تذْوي
اصطفاقُ موجةٍ من الأحلام انْحَسَرَ وخلَّفها هناك
ولم يسأل.
في عرائشها الصماء طَرْدُ من عاسلات النحل ينشر طنينه
أفواهٌ ملوَّنةٌ توقَّدَتْ وهَبَّتْ من الأزهار
مياهُ الصباح الباكرِ كفَّتْ عن حديثها الليليِّ الرائق

كان المرءُ كما لوْ أنّه لم يَعُدْ يعرف شيئاً أبدا.

وخلف هذا الجبل الغُفْل الصغير ما تزال توجدُ عاطفةٌ بعد.
إنها لا تملك شعوراً ولا دموعاً

إنها لا ترحلُ إنها لا تعود.

(٥)

شبكةُ غيرُ مَرْئيةٍ تكَبلُ الصوتَ الذي يدفع كثيراً
من الحقائق للنوم
وَسْطَ برتقالاتِ أصائلهِ، يزحفُ الشك. فَمٌ ينفخ بلا اهتمام.
يومُ عطلته يجعل السطوحَ المشتهاةَ تتوهَّج. قد يثق المرء حتى
بنفسه. قد يلمس المتعة الشهوانيَّة في بؤبؤ عينيه؛
من عينيه اللتين تَهيمان وراءَ الحب. وتحدانَ تَبذُّلَهما العذريَّ
خلال السكينة الصافية في أشد أعشابي إيغالا
في الليل

(٦)

غزالةٌ تجعل حافَّةَ الجبلِ تركض. أنتِ لا تعرفين شيئا. وهذا
هو السبب في أن المدى واضحٌ هكذا. وإذا كنتِ يوماً تعرفين،
فإن المطر الذي سيبلّلكِ
سيغدو حزينا

اهربي أيتها الغزالة!! اقتربي أيتها الرغبةُ من خلاصك،
اهربي أيتها الحياة، مثل حافة الجبل.

(٧)

الأساطير أرْضعتْ نباتاتِ هذا العصرِ الذي يعلو
بأشجار الليمون والنارنجْ إلى دهشة عينيّ. ماذا كانت ستصبح
السعادةُ بجسدها غيرِ القابلِ للاكتمال لو أنها وقعتْ في
شِباك المغازلات العابرة لهذه الاجْتراءات الخضراء؟
ذراعان تنتظران. أرضٌ بكاملها تسند نفسها على كوعيهما
وشِعْرٌ كاملٌ يضع فيهما أمله.
وراء التل مَمْشىً مُمَهَّدٌ بآثار الخطى الطازجة لتلك
العذراء الشفافة. لقد رحلتْ من صباح عينيّ الباكر (بينما
جفناي كانا قد أتما أُلْفتهما بالشمس)
كانت قد اختبأت وراء ظلّ رغبتي – وحين دبَّتْ فيها إرادة ما
لتمتلكها، تلاشتْ منحرفة بالرياح المولّهة
التي كان مهدُها مضيئاً
وأخيراً وقع الممشى في عشق التل الذي يعرف السِّر الآن جيدا.

فَلْتَظْهر الآن إذن أيها الغيابُ البعيد! لا شيء
تشتهيه أحضانُ الحديقه أكثرَ. بلمسةِ راحتيك سوف
تهدّئ الثمارُ ذاك الذي يحَوّمُ الآن بلا هدف في
صفاء المحاذاة لقامة جسدك، سوف تجد الأشجارُ
النهايةَ القديمةَ لغمغمةِ عزلْتها
عند تحررِكِ الأولِ من الخوف سوف تتكاثر الأعشابُ
كالآمال. حضورُكِ سوف يجعل الندى بارداً.

حينئذ سوف تطلقين في كياني أهواءَ المشاعر. دموعَ الأعماق،
والأحجارَ الكريمة، وترداذَ الحضور والغياب وحينما تمتدُّ

السماءُ تحت جسور يديْنا المتشابكتيْن، وحينما تُلْهبُ
أندرُ كؤوسِ الوردِ وَجَناتِنا، سوف نبدعُ الشكلَ الذي
يفتقده الحبُّ من هذه الرؤى
إن ما سوف نمنحُه حينئذ
لطقوس الأحلام الصعبةِ هو التحقُّقُ الأكيد.

احْتفَالّيةُ أزهارِ الياسِنْت*

---

* زهرة جميلة لونها بنفسجي فاتح تنمو في مياه المستنقعات والمحاري الراكدة، تشبه ورد النيل.

-١-

اقتربي قليلاً من الصمت، ولَملِمِي إليكِ شَعْرَ هذه الليلة
التي تحلم أن جسدَها عريان. إن لها آفاقاً شتّى، وضفائرَ
كثيرةً، وقَدَرٌ دعوب يحرق في كل لحظة أوراقها الاثنتين والخمسين
وبعد ذلك تبدأ من جديد شيئا أخر- بيدكِ، التي تضع فيها
اللآلئ علها تجد رغبةً، وجزيرة نعاس
اقتربي قليلاً من الصمت وخذي بين ذراعيكِ الهلْبَ الهائلَ
الذي يبسُط سلطانه على أعماق البحر. في لحظة خاطفةٍ سيكون
بين السحب. وسوف لا تفهمين، بل سوف تبكين. ستبكين
عَلّي أقبّلك وحينما أشرع في فتِح شرخٍ في الزيف، شعاعٍ لازوردٍ
سماوي مرهف يتعْتعُه السُّكْر، سوف تعَضّينني أنتِ يا
فتاةَ روحي الصغير الغَيْرى، أيها الظل الذي يَهَبُ الموسيقى
مَوْلِدَها تحت ضوء القمر

اقتربي قليلاً إلى جانبي

-٢-

هنا- في خضم وسوسة الرغبات البازغة قبل الأوان،
أحسست لأول مرة بالسعادة الأليمة للحياة طيورٌ هائلةٌ،
وغامضةٌ تمزَّقَتْ عبر بكارات عوالمِكِ. على مُلاءةٍ منبسطةٍ
بجعاتٌ حَدَّقْنَ في أغانيهن القادمة ومن كل طيَّةِ ليلٍ تجلّتْ

برجْرجَةِ أحلامهن في المياه. وقد وحَّدْن وجودَهنَّ بوجود
الأحضان التي كن ينتظرنها.
حتى الخطى التي لم تنطْمسْ آثارُها بل توقَّفتْ في زرقة ركن
من السماء وفي عينيك- ما الذي كانت عيناك تفتشان عنه؟
أي خطيئةٍ مرصَّعةٍ بالنجوم كانت تدنو من خفقات يأسك؟
لا البحيرةُ، ولا حسيَّتُها، ولا طيفُها المشتعلُ ذو اليدين
المستْكينتين كانت تستحقُّ مواجهة مثلِ هذا القلقِ المشرقِ أبدا.

-٣-

حنينُ سعادةٍ أكثر إشراقاً- نهارُ ملْتفٌ بمشقَّةٍ على
آثار خطى المجهول
أكثرُ من دمعةٍ واحدةٍ تُذْرَفُ يجعل الشمسَ مبهمةً أكثر.
وأنتِ تلوكين ساعاتِكِ كالنبات المسمومِ العطر
وتصبحين بشيراً برحلةٍ عذبةٍ في الأبدية.

-٤-

خمسةٌ من العصافير - خمسُ كلماتٍ غايتُهن أنتِ.
كلُّ ألق يحتويكِ. قبل اختصاركِ في العشب، تتركين
سيماءَكِ فوق الصخرة التي تصَدَّع وهي تلتهب. يتأجَّجُ
لهيبها في الروح. قبل أن تصبحي مذاقاً للوحدة
تضَمِّخين الزعْترَ بالذكريات.
وأنا، أصل دائماً إلى الغياب مباشرةً. صوت ما يبدو أنه
جدولُ ماء، ومهما أقُلْ، ومهما أحب فإنه يبقى في ظلاله

لا يُمَسّ. بكارات وحصباءُ في أعماق شفافية الإحساسِ
بالكريستال.

-٥-

حينما تكبرين وتمتلكين زَغَبَ صباك فإنك ستمتلكين اسمَ أميرةٍ
مياهُ تشعشع في راحةٍ يد صغيرةٍ. الدنيا كلُّها تشوّشُ أيامَها
وفي قلب سَكْرَتها تزرع باقةً من الياسنت.
ومنذ الغد ستكون طقوسُ احتفاليّاتي في أوراقي السريةِ من أجلكِ.

-٦-

وسْطَ هذه الأشجار التي ستخلّد وجهَكِ المشرقَ. العناق
الذي سيبعث السكينةَ هنا وهناك بهذه الطريقة الوادعة.
العالم الذي سيبقى محفوراً هناك.
ياللكلمات المكتومة التي بَقِيَتْ في قشور الآمال،
في براعم الأغصان البازغةِ من يوم طموحٍ- الكلماتِ المحكمة
التي زادتْ من مرارات مطابقاتها وغدتْ هي الكبرياء.

-٧-

أحساسُ عميقُ. أوراقُ الشجر ترتعد، تحيا جماعاتٍ وفُرادى.

فوق أشجار الحوْر التي تُشتّتُ الرياحَ أمام عينيكِ كانت،
هذه الرياحُ التي تطلق بوجودها سَراحَ هذه الذكريات،
هذه الحصباءَ- الأوهامَ! الزمنُ ينزلق وأنتِ تغرسين
نفسَكِ فيه، مدجَّجَةً بالأشواك إنني
أفكر في هؤلاء الذين لم يلتمسوا زوارقَ النجاة أبداً. الذين
يحبّون النور تحت الجفون، الذين يقرأون أكفهم بعيون
متيقّظة عندما يكون النومُ أعمقَ ما يكون.
وأنا أريد أن أغلق هذه الدوائرَ التي فتحتْها أصابعُكِ أنتِ،
أريد أن أحْكِمَ دائرةَ السماء عليها لعلَّ كلمتها المطلقةِ
لا تكون كلمةً أخرى.
تحدثي إليَّ؛ ولكن تحدثي إليَّ بالدموع

-٨-

في أعماق بحر الموسيقى تتّبعُكِ الأشياءُ ذاتُها، وقد
تحوَّلتْ .الحياةُ في كل مكان تقلّدُ نفسَها. وبالقبْض على الفُسفور
في يدكِ، تُشيعين السكونَ وَسْط حبائل المخاطرِ العديدة.
وشَعْرُكِ المبتلُّ بالنغمة التاسعة يشدُّ قوسَ الذكريات
وينْسِلُ خيطَ الحروف الليّنةِ فوق ذروة انحناءةِ الشفق.
حذارِ! فالصوتُ الذي نسيتهِ ذاتَ مرةٍ
يتبرعم الآن على صدرك. هذا الكورالُ الذي يشتعلُ وحيداً
هو النّذْرُ الذي لم تفي به أبدا. والنارُ الهائلةُ التي
ستكون قد ألتهمتْكِ هي هذا الدُّوارُ الخفيفُ الذي
يربطكِ بتهاويلِ الألم إلى النّزْع الأخيرِ للبنفسج.

في أعماق بحر الموسيقى نرحلُ معاً

-٩-

لم أفعل أيَّ شيءٍ آخر. أخذتُكِ كما أخذتُ الطبيعةَ الغفْلَ
وعملتُ عليها حينئذٍ أربعاً وعشرينَ مرةً في الغاباتِ والبحار
أخذتك فيِ بُحران الرعدة ذاتها
التي قلبت الكلمات على وجوهها
وتركتها هناك مثل الأصداف المفتوحةالمبعثرة.
أخذتُكِ رفيقاً في البرق، في الرهْبة، في غريزتي
بسبب ذلك، في كل مرةٍ أستبدلُ الزمن، مطَّرحاً
قلبي إلى الحضيض، ترحلين وتختفين، مغالبةً حضورَكِ،
خالقةً عزلةً مقدسةً، سعادةً هائجة فوق
طاقة العقل.

إنني لم أفعلْ شيئاً آخر سوى ما وجدتهُ فيكِ واقتديتُ به!

-١٠-

مرة أخرى، وسط أشجار الكرز، شفتاك الطازجتان
مرة أخرى وسط رقصِ الخضرة، أحلامُكِ الغابرة
مرة أخرى في أحلامك القديمة، الأغنيات التي
يعلو لهيبُها ثم ينطفئ
بين تلك التي تتوهَّج عالياً
ثم تنطفئ، أسرارُ العالمِ الدافئة.
أسرارُ العالم.

-١١-

عالياً فوق شجرة الارتحالات البيضاء، جسدُكِ
الصبيُّ مسكونٌ بالصواري، أنتِ تبسطين البحرَ
العريانَ الذي يأخذ ويعطي حياتهَ لطحالب البحر اللامعة.
المدى يتألّق والبخار الأبيض ناء يستنزفُ
قلبهَ إذ ينثر ألف دمعة. إنها أنتِ إذن من تنسى.
حُبَّها في المياه الضحلة، في الأعماق السفليةِ للأمل. أنت
من تنسى لهباً في علوّ الظهيرة. من تقْحِمُ الحروفَ الليّنةَ في
كل كلمة متكثرةِ الألوان، جامعةً عسلَها في عناقيد الفاكهة.
في الأصيل حينما تجدين نفسك فجأة فتاة شقراءَ قد
لوّحتْها الشمس أمام هذه اليد الرخامية التي سوف
تكون حارسَ القرون، اذكري على الأقل ذلك الصبيّ
الوحيدَ في عنفوان البحر الذي كان متحمساً لاكتشاف الجمال
الذي لا يُضاهى بجمالك. فلترمي إذن بحجرٍ في سُرَّةِ البحر،
جوهرةٍ في عدالة الشمس

-١٢-

خذي معكِ ضوءَ الياسْت وعَمِّديه في ينبوعِ النهار. هكذا
بالقرب من اسمك سوف ترتجف الأسطورةُ ويدي. مغالبَتيْن
الطوفان، وسننجو مع أولى الحمائم. فمن سيُنازِلُ
هذا العزيفَ أولا. من سيكون جديرا بما يكفي
ليشعرَ أنه قريبٌ منه، من الذي سوف يدلّكِ أولاً
كيف تعلن الشمسُ العظيمةُ عن بزوغ البرعمِ الصغير!

أمواجٌ تطهِّر العالم. كلُّ امرئ يبحث في كلماته.
أصرخ أين أنتِ والبحرُ والجبالُ والأشجارُ غير كائنة.

-١٣-

حَدّثيني عن الساعة المكْفَهِرَّةِ التي هزمتْكِ حينما
بادرَ الرعدُ قلبي. حدثيني عن اليد التي قادتْ يدي لتغوص
في أسى إقامتِكِ المؤقتةِ في البلاد الغريبة. حدثيني عن
بعد المسافة والنورِ والظلمة- الموجةِ المقتحمةِ لسبتمبر
الحنونِ الحميم.

بعثري زَبَداً من تهاويل الألوان، توجيني

-١٤-

أن تعودي إلى جزيرةِ الحَجَرِ الخفاّف مع دَيْدَبان منسي
سوف يوقظ الأجراسَ مانحاً قبابا صباحيةً للذكريات
التي عاشت أغلبَ الوقتِ في البلاد الغريبة. أن تتنسمي
الحدائقَ الصغيرة البعيدة عن قلبك ثم يستقبلُكِ الأسى ذاتُه
مرة أخرى بعد ذلك. ألاّ تشعري بشيء فوق الصخور
المسنّنة وأن تماثلَ هيئتُكِ ترتيلتها المفاجئةَ. أن تصعدي
أعلى فأعلى بالسلالم الحجريَّةِ غير الممهَّدَةِ وأن تقفي

هناك بقلبك اللاّهثِ الضرباتِ خارج بوابة العالم الحديد.
أن تجمعي الغارَ والرخام لمهندس مصيرِكِ الأبيض.
وأن تكوني كما وُلدْتِ، مركزَ العالم.

-١٥-

إبرةُ البوصلة يُناوِشُها الخطر. فحيثما توجَّهْتِ
ارتبكتِ بفعل الوجه الباهر للشرق الحنون.
حينئذ اقذفي بأزهار الياسنت، لتعومَ على
اندياحات الزَّبَدِ نحو البُشْرى السعيدةِ ذات الأجنحة
الستة!

إن أنسام المستقبل تحجب العطايا الحيَّةَ بالغيوم.

-١٦-

خبِّئي في جبينك النجمةَ التي أردْتِ أن تحديها في النحيب
بهذا الاندفاع وهذه المكابدة التي تفوق طاقة البشر
ودعي شَغْبَ الآخرين يغدو أكثرَ مذلةً.
أنتِ دائما تعرفين أكثر. وفوق ذلك هذه هي قيمتُكِ
ولهذا فإنك حين ترفعين رايتَكِ يسقط لونٌ مريرٌ فوق
سطوح الأشياء فيطمس ملامحَ العالمِ المهول.

-١٧-

أنت لم تعرفي شيئاً مما وُلِدَ ومما مات تحت وطأة الرغبات.
كسبتِ ثقةَ تلك الحياةِ التي لم تَروّضْك،
وأنت تواصلين الحلم. فماذا تستطيع الأشياءُ أن تقول
وأيُّ الأشياء يمكن أن يحطَّ من قدْركِ؟
حينما تتوهجين في الشمس إذ تنزلق عليك قطراتُ المياه،
والياسنتُ اليانعُ، والصمتُ، أعلنُ أنك الحقيقةُ الوحيدة.
حينما تنفلتين من الظلمة وتعودين مرة أخرة مع الشرق،
بئراً، برعمَ زهرةٍ، شعاعَ شمس،
أعلنُ أنكِ الحقيقةُ الوحيدة.
حينما تهجرين أولئك الذين يضْمحِلُّون في العدم
وتهبين نفسَكِ مرة أخرى كامرأةٍ فانيةٍ،
فإنني أستيقظ في تُحوّلاتك من البداية.

لا تلعبي أكثرَ من ذلك. ارمي ورقةَ الفَوْزِ الناريَّة.
اقتحمي جغرافيا الإنسانية من أوسع أبوابها.

-١٨-

فتاةٌ مُلَوَّحةٌ بالشمس ومتلألئةٌ- أغنيةٌ لنعاس
الجفون عن الاتساع الأسطوريِّ للعالم.
إنه زمن قصير منذ اندفع الصمتُ منْطرحاً في الريح،
إنه زمن قصير منذ أطلقت الريح أسماءَ كائناتها
الأعمقَ واحداً واحداً.

الطبيعةُ مطويَّةُ الآن في قبضة اليد بينما
تجري هناك كطفل،
عيناها مُرَوَّعَتان بدفقةِ لازَوَرْدٍ، بسماء من
بواكير النباتات ساطعةٍ، بغيمةٍ جديدةٍ لها سيماءُ البصيرة
وأنا، حافراً في قلب شجرةِ جَوْز، متحسساً
رملَ الشاطىء بلهفة، صارخاً في البرِّيَّة التي لا تحد،
قد فقدتُ العلاماتِ التي مَنحتْكِ الميلادَ. فأين
تكونين حينما تُنْهِكُ الروحَ ريحُ الجنوب
والثريا تومئ إلى الليل ليفكَّ أسْرَ المطلق،
أين تكونين!

-١٩-

برغُم النار هذا سوف يتفتّح حينما تُعمّدين زهرتَكِ
الحمراءَ بطريقة مغايرة.
من تلك اللحظة، حيثما قد تولدين ثانيةً، حيثما قد
تنعكسين في المرايا، حيثما قد تبعثرين أشلاءَكِ،
سوف يكونُ اشتهائي في ربيعه، متفتحاً بذات
الإطمئنان الأليم عن مشاعلهِ السبعةِ الهادِية.

-٢٠-

ضوءٌ غامرٌ حتى أصبح الشطُّ العريانُ خالداً.

الماءُ سدٌّ الخلجان. الشجرةُ الوحيدةُ حَدَّدت المسافة.
ليس لكِ الآن إلا أن تأتي، أنتِ، أوه، منحوتةَ
الملامح بمهارة الريح، وسوى أن تقيمي
التمثال. يبقى لكِ فحسب أن تأتي وتديري عينيك
إلى البحر الذي لن يكون على اتساعه أكثر من حيويتكِ وحضوركِ
الدائم وهمسِك اللانهائي.
ليس لك إلا أن تتناهي عند الآفاق.

-٢١-

لك أرضُ مشوَّهةُ تكشطين صحائفها بلا انقطاع
ولا تنامين. تنطقين بكلماتِ تلال كثيرةٍ، وبحار
كثيرةٍ، وزهرٍ كثير. وقلبكِ الواحدُ يغدو متكثرا،
محولةً جوهرَ عناصرِها إلى أفكار.
وحيثما تدفعين المدى لينفتح واسعا، وأيما كلمة
قد ترسلينها إلى المطلق تعانقني. خمني،
ارفعي العذابات، تفهّمي.

على الجانب الآخر أنا نفسُ الشخص.

في مأدُبة الصيف

احتفاليَّةٌ سنوية

[..حتى أكثرُ الأنهار وَهناً
ينعطف في مكانٍ ما إلى البحر بأمان.]

جلبتُ حياتي إلى هذا البعد القصيّ
إلى هذه البقعة التي تكابد
دائما قربَ البحر
الفتيانُ على الصخور، صدراً
لصدرٍ في مواجهة الريح
حيثُ على الرجل أن يذهب
ذلك الذي ليس شيئاً آخر سوى أنه رجل
مُصَعّداً إلى ذرى لحظاته الخضراء
بهدوء، رؤى إنصاته
مع المياه، لنوازع الندم المجنّحة
آه، يا حياةَ طفل
يصير رجلاً
دائما قرب البحر حينما تعلّمه
الشمس أن ينطلق إلى ذلك المكان حيث
يتلاشى ظلٌّ نورس.
جَلَبْتُ حياتي بعيداً إلى
هذا البياض الشامل، والسواد العميم
قليلٌ من الأشجار وقليلٌ من
حصباء مبتلّةٍ
أصابعُ مرهفةٌ لمداعبة جبينٍ
أيٍّ جبين
هواجسُ انتحبتْ طول الليل ثم ولّتْ
ليس هناك من أحدٍ

حتى تُسمعَ خطوةٌ حرةٌ
أو يشرقَ صوتٌ طازج
أو يتناثرَ المكتئبون رذاذاً على
أرصفة الميناء وهم ينقشون
اسماً لّلازَوَرْدِ الأعمق على آفاقهم
بضع سنواتٍ، بضع أمواجٍ
تضرب بمجذاف الحسّ
في الخلجان المحيطة بالحب.

جلبتُ حياتي بعيداً إلى
جرح بليغٍ مريرٍ في الرمل الذي سوف يتبدَّد
فأي إنسان رأى عينين تلمسان صمتَه
وقد مَزَجَتا بضوء شمسهما الخبيئةِ ألفاً من العوالم
وتركتاه يلتفت إلى شموس دمِهِ الأخرى
الأكثر انغماساً بالضوء الحميم
هناك ابتسامةٌ تسخو باللهب
ولكن هنا في هذه الأرض البكر التي تنأى شاحبةً
في بحر ممتدّ لا يرحم
تتوالى دَوَّاماتُ الريح
بالريش المتساقط
ومن اللحظات التي غدت لصيقةً بالأرض
أرضٌ جاسيةٌ تحت باطن القدم فارغةُ الصبر
أرضٌ خُلِقتْ للدُّوار
بركانٌ خامد.

جلبت حياتي إلى هذا البعد القصيّ
حجرٌ مُرْتَهَنٌ للعنصر المائيّ

أبْعَدَ من الحزر
أدنى من الأمواج
بحوارِ خَطاطيفِ المَرْساةِ
حينما تعبر المراكبُ بعوارض القاعِ الصُّلْبِ
متخطيةً بعض العقبات الحديدة
بحماس فتقهرها
والأمل يتلألأ بكل دلافينه
تلألؤَ الشمس في قلب الإنسان
تنتشل شِباكُ الشكّ
هيكلاً من الملح
منحوتاً بمشقة
عشوائياً، أبيض
يدير فراغ عينيه إلى البحر
ناظرا إلى الأبدية.

هيلين

مع أول قطرة من المطر سقط الصيفُ قتيلاً
تلك كلماتٌ كانت مبللّةً فوهبتْ لضوء النجم مولدَه
كل تلك الكلمات كانت لها غايةٌ وحيدةٌ هي أنت!
فإلى أين سنمدُّ أيدينا الآن والوقتُ لم يعد يكترثُ بنا
أين ستستقرُّ أعيننا الآن وقد غرقتْ الآفاقُ
البعيدةُ في السحب
الآن وقد أطْبقتْ أجفانُك على أحراشنا
ونحن الآن- كما لو كان ضبابُ الحيرة قد توغّل فينا-
وحيدون جميعاً وحيدون وقد أحاطتْ بنا أطيافُكِ الميتة.

الجبين على زجاج النافذة،
نظل بلا نوم ساهِرين على هذا الأسى الجديد
ليس هو الموتُ من سيطرحنا أرضاً، لأنك توجَدين
فإن ريحاً هنا أو هناك توجد لتحيا فيكِ كلٌّ وجودها
حتى تكسوك تماما مثلما يكسوك أملُنا بالشمس من بعيد
ففي مكان ما
أشدُّ المروج خضرةً تمتدُّ وراء ضحكتكِ للشمس
قائلةً لها بثقة أننا سنلتقي مرة أخرى
لا.. إنه ليس الموتَ من سوف نلقاه
بل أصغرُ قطرةٍ من مطر الخريف
عاطفةٌ مبهمة
رائحةُ الأرض الرطبة في أرواحنا التي تُزهق كلما نأت بعيدا
فإذا لم تكن يدُكِ في أيدينا
وإذا لم يكن دمُنا في شرايين أحلامِكِ
والضوءُ في السماء الطاهرة
والموسيقى في أعماقنا غيرُ مرئيَّةٍ أيتها السيدة الحزينة
أيتها الأشياء العابرة التي ما تزال تشدُّناَ إلى هذه الأرض
إنها الريحُ المضببةُ الساعةُ الخريفيةُ الفراقُ
الذي يظهر حينما يهبط الليل ليفصلَنا عن النور
خلف مربع النافذة التي تحدّق في التعاسة
تلك التي لا ترى شيئا
لأنها قد أصبحت موسيقى خفيَّةً شعلةً في الموقد
رنيناً هائلاً للساعة الكبيرة على الحائط
لأنها قد أصبحت بالفعل
قصيدةً شعراً يتلوه شعرٌ آخر
صوتاً يتوافق مع مطرٍ، دموعٍ، كلماتٍ
كلماتٍ لاتشبه كل الكلمات الأخرى، ولكن حتى هذه

الكلمات لها وجْهةٌ واحدةٌ: أنتِ

أغنية إلى سانتُوريني

أنتِ انبثقتِ من أحشاء الرعد
ترتجفين في قلب السحب الدامعة
حجراً صلداً، متشظّياً، جلْموداً
أنتِ أردت أن تكون الشمسُ شاهِدَكِ الأول
لعلكما معاً تواجهان الإشعاعَ الخطر
لعلكماً تبحران إلى عرض البحر مع صدى يحمل الصليب

بحرٌ جيَّاشٌ، عنيدٌ
أنتِ رفعْتِ نَهْداً من الحجر
مُبَرْقَشاً بأنفاس ريح الجنوب
لعل الَفَرحَ يحفر مسالكَه هناك
لعل الأمل يشق سبله هناك
بالنار باللافا بالدخان
بالكلمات التي تحاول اخْتِدَاعَ الأبد
أنتِ منحتِ صوتَ النهار مولدَه
أنت رفعت عالياً
فوق دوائر الهواء الخضراءِ الورديةِ
الأجراسَ التي تقرعها الذكرى الجبليَّةُ
تحيةً للطيور في ضوء منتصف أغسطس
بين الصخب، بين هدير الزَّبد
من طقوس العَشاء الربانيّ في النوم
حين كان الليلُ يطوّف بين وحشة النجوم

باحثاً عن صليبٍ معموديَّةِ الفجر
أنتِ أحسستِ بفرح الولادة
طفرْتِ أولى طفراتِكِ إلى العالم
وليدةَ الأرجوان، شاخصةً من البحر
أرسلتِ بعيدا بُعْدَ الآفاق السحيقة
البَرَكَةَ التي انتشرتْ بأرق البحر
لعلها ترجِّل شعر الفجرية الخامسة
ملكةِ الأجنحةِ والرفرفةِ الإيحيَّة
أنتِ وحدتِ بالكلمات التي تحاول تحويل الأبد
بالنار باللافا بالدخان
المساراتِ العظمى لمصيرِك.

الآن تنبسط العدالةُ أمامك
جبالٌ سوداء تطفو في بُهْرَةِ الضوء
المطامحُ تُعدُّ فوهاتِ براكينها
في قلب الأرض المعذَّبة
وأرضٌ جديدةٌ تهيّئ نفسَها بكدْحِ الأمل
لعلها تنطلق بعيداً مع النسور والرايات
فوق صبحٍ مُفْعَمٍ ببوارق الألوان،
السلالةُ التي تبتعث أحلاماً
السلالة التي تغنيّ بين ذراعَي الشمس
أيتها العذراء، ياذروةَ الغضب
أيها الهيكل العريان الطافر من البحر
افتحي بوابات الإنسان المضيئة
لعل كلَّ الأرض تستافُ فاغمَ العافية
التي آن أن يُبَرْعمها الوجدانُ في ألوانها الألف
مُرَفْرِفَةً في السماء الوسيعة

وقد آذنتْ الحريةُ بالاندفاع من كل إتّجاه

في عزيف الريح، يَبْرُق
ذلك الحمال الجديدُ والأبديّ
حينما تشرق شمسُ الساعة الثالثة عالياً
كلِّيَّةَ الزُّرْقةِ، عازفةً على هارمونيكا الخليقة.

مرْساةُ الصخور

على شفتيكِ طعمُ العاصفة- ولكن أين كنتِ تتجوَّلين
طوالَ النهار مع الحلم الصعب من الحجر والبحر
ريحٌ في عنفوان النسر جرَّدَت التلالَ وعَرَّتْها
جردت اشتهاءَكِ حتى العظم
وتعلَّقتْ حدقتا عينيك بصوْلجان الوهْم
ونَقَشَت الذكرى بطَفَاواتِ الزَّبَد!
أين ولَّى ذلك المنْحدَرُ الأليف لسبتمبر الطفولةِ
حيث لعبتِ فوق الأرض الحمراء، محدِّقةً إلى أسفل
إلى تجمعات البنات الأخريات
في الزاويا حيث ترك أصدقاؤكِ أغماراً من نبات حصى البان
- ولكن أين كنت تتجولين
طوال الليل مع الحلم الصعب من الحجر والبحر
وَدِدْتُ لو أمرتُكِ أن تحتفظي بآثار من جميع الأيام
المضيئة في المياه العارية
لتستلقي على ظهركِ مبتهجةً بفجرِ جميع الأشياء
أو لتتحوَّلي ثانية في برارٍ من الأصفر
وعلى صدرك حِلْيَةٌ من الضوء، يا بطلةَ بحر الإيامْبْ

على شفتيكِ طعمُ العاصفة
ولك رداءٌ قان كالدم
متغلغلٌ في ذهب الصيف
وعبيرِ أزهار الياسنت– ولكن أين كنت تتجولين

هابطةً إلى شواطئ البحر، الخلجان ذاتِ الحصى
حيث وجدتِ عشبَ البحر مالحاً بارداً
ولكن عاطفةَ الإنسان الراعفةَ ما تزال أعمق
وفتحتِ ذراعيكِ مندهشةً، مناديةً باسمها
غائصةً إلى صفاء عمقِ البحر بخفة
حيث يومض قنديلُ بحرِكِ

أنصتي، الكلمةُ فلْذةٌ من الدهر
والزمنُ نحاتٌ مخبولٌ لتماثيل البشر
والشمسُ واقفةُ في سمائها، وَحْشَ أمل
وأنتِ، أشدُّ اقتراباً، تعانقين حبيباً
بطعم العاصفةِ المريرِ على شفتيكِ.

لعلك لا تؤمّلين بعدُ في صيفٍ آخر، يازرقاءَ البحر حتى العظم
فقد تحولُ الأنهارُ مجاريها
لتحملكِ ثانيةً إلى منابعها
عساك تقبّلين ثانيةً أشجارَ كرْزٍ أخرى
أو تعتلين صَهَواتِ خيولِ الريحِ الشماليةِ الغربية.

قائمةً أنتِ على الصخر بلا أمس أو غد،
فوق مهالِكِ الصخر، معْتمِرَةً بقبّعة العاصفة
سوف تقولين وداعاً لسرك الملْغِزِ.

عصرُ ذاكرةٍ زرقاء

أحراجُ الزيتون وعرائش العنب بعيدةٌ بُعْدَ البحر
زوارقُ الصيد الحمراءُ ما تزال نائيةً عن الذاكرة
أجنحةُ جَداجد أغسطس الذهبيةِ في نعاس الظهيرة
مع الأصداف أو طحالب البحر. وهيكلُ ذلك الزورقِ
المشيّدِ من جديد، الأخضر، الذي تحتضنه
سكينةُ الماء، وما يزال مقروءاً عليه:
"كان الربُّ في العوْن"

كأوراق الشجر كالحصى تَتَفَلّتُ السنوات
أتذكّرُ الرجالَ اليافعين، البحارةَ، يرحلون وهم
يرسمون قلوعَ المراكب على خطرات قلوبهم
وقد غنّوا لأربعة أركان الأفق
وارتدوْا رياح الشمال الموشومةَ على صدورهم.

ما الذي كنتُ أبحث عنه حينما جئتِ مُفَوَّفَةً بإشراقة الشمس
وزمنُ البحر في عينيك
وعلى جسدك عافيةُ الشمس- ما الذي كنتُ أبحث عنه
عميقاً في كهوف البحر وسْطَ الأحلام الشاسعة
حيث أزْبَدَت العواطفُ من ريحٍ
مجهولةِ الاسم وزرقاء، وقد وَشَمَتْ صدري بعلامة بحرها
بالرمل فوق أصابعي، سأضمُّ أصابعي
بالرمل في عينيَّ، سأفْرك أصابعي
كان هذا عذاباً-
كان شهر أبريل، أتذكّرُ، حينما أحسستُ لأول مرةٍ
بامتلاء جسدِكِ البشريّ

جسدُكِ البشريُّ المجبولُ من الطين والفساد
كأوَّلِ أيامنا على الأرض
كان ذلك في عيد النرجس– ولكنكِ عانَيْتِ، أتذكَّرُ،
الجرحُ فوق الشفة المقْروحةِ كان غائراً
وكان أثرُ المخلبِ غائراً فوق جلدِكِ حيث حفَّرَ الزمنُ للأبد

هجرتُكِ حينئذٍ
واجتاحتْ ريحُ رعديةُ البيوتَ البيضاء
والعواطفُ البيضاءُ كانت مغسولةً من جديدٍ
في السماء المستضاءَةِ كلها بابتسامة.

سوف أحتفظ الآن بجواري بجرَّةٍ من الماء الخالد
بشكل من ريح الحرية العاتية
وبيديك هاتين حيث سيكابدُ الحبُّ العذابَ
وبمحارةٍ من محاراتكِ سوف يُرجِّع بحرُ إيجة صداه.

كآباتُ بحر إيجة

ما الذي يماثِلُ الروحَ وسْط سكينةِ ما بعدَ الظهيرة!
أيةُ ريحٍ رُخاءٍ بين نداءات الشواطئ البعيدة!
طائرُ الوقْواق بين مناديل الشجر
واللحظةُ الحميمةُ لعشاء الصيادين
والبحرُ يعزف على أكورْديونِهِ
والشوقُ القديمُ لامرأة
المرأةِ الجميلةِ التي عرَّتْ نهديْها
حينما هَجَعَتْ الذاكرةُ في أعشاشها

وأزهارُ الليلك تنفح الغروبَ بالنار!
بزورق خفيف ذي قلوع كأيْقُونةِ العذراء
رحلوا، وبأمنيات الريح الطيبة
كل أولئك الذين استهوتْهم سرعةُ ذبولِ الزنابق في
الحقول الغربية
ولكن انظرْ كيف نشر الليلُ هنا نعاسَه الهامسَ
مثل بِقُبَقَةِ المنحنيات على امتداد ارتفاعات الأرض الوامضة
على شواطئ البحر البيضاء الممتدة
وكيف أن غبار أوائل الأحلام
المفعمَ برائحة النعناع والحبق
كان منتشرا حتى حافة الأفق
بسيفِ أورْيون الذهبيّ!

على مفارق ثلاثةٍ حيث وقفت الساحرةُ العتيقة
مشعلةً الرياحَ بالزعتر الجاف
انتقلتْ الظلالُ الشاحبةُ بخفة
كل منها تحمل جرَّةً طافحةً بماء لا صوتَ له
بيسرٍ كما لو كن ذاهباتٍ إلى الفردوس
ومن صلوات الجداجدِ التي تُرغي وتُزْبدُ في كل الحقول
بزغت الجميلاتُ في إهاب القمر
ليرقصن على أرضٍ منتصفِ الليل الممهَّدة...

أيتها الإشارات الهادرةُ في أعماق
بحيرة ترفع مرآةً
أيتها الزنابق السبعُ التي تتألق.

حينما يتطوَّح سيفُ أورْيون مرةً ثانية

سوف يجدُ السيفُ لقمةَ الفقر تحت المصباح
ولكن روحاً على جمرات النجوم المستعرة
سوف يجد أياديَ هائلةً ممتدَّةً إلى المطلق
طحلبِ البحرِ الموحشِ، آخرِ مواليدِ الشاطئ من الأطفال
والسنواتِ، الأحجار الكريمةِ الخضراء
أيها الحجر الأخضر– أية عاصفةٍ قاصمةٍ لمحتْكَ
محتبسةً الضوءَ في موْلدِ النهارِ
الضوء عند موْلدِ عيني العالم الاثنتين!

هيئةُ بُوئِيُوتْيا

هنا حيث تقع النظرةُ الأسْيانةُ على الأحجار
والصّبارات الحية
هنا حيث يدوِّي وقْعُ خطى الزمن عميقاً
حيث تفرد السحب الكثيرةُ الأجنحةَ الذهبيةَ الستة
للملاك المجنّح
فوق السماء التي لا يحدُّها بصر
اخبريني من أين انبثقتْ الأبدية
أخبريني أيُّ تدمير ذلك الذي ينزل بكِ
وما المصير المقدَّرُ للدودةِ الدنيئةِ الوحيدة

يا أرضَ بُوئِيُوتْيا المضَوَّأةَ بالريح.

ما الذي آلتْ إليه أورْكستْرا الأيدي العارية أسفلَ القصور
الرحمةُ التي هبَّتْ كدخان القداسة

أين البواباتُ بطيورها الأثريَّةِ التي كانت تغني
ورنينُ المعدنِ الذي أطلَعَ فجرَ الرعبِ للبشر
حين دخلت الشمسُ مثل فاتحٍ
وحين تضعضع المصير على حرْبة القلب
والكفاحُ المدنيُّ لأغنية الطير المتَّقدةِ بالحماس
ما الذي آلتْ إليه القرابينُ الخالدةُ من جمر مارس
والزخارفُ اليونانيةُ فوق العشب الهش
كانت الحواجب والكيعان مجرَّحةً
وانحدر الزمن قانيا من أعلى السماوات
وتقدم الرجال
محمَّلين بالدمع والحلم

أيها الشكل المُمِضُّ، الممجَّدُ بريح
عاصفة الصيف التي تترك آثار شعلتها الذهبية
فوق آفاق التلال والنسور
فوق خطوط مصيرِكَ على راحات الأيدي

ما الذي تستطيعين مجابَهَتَه وماذا يمكن أن تلبسي
وأنتِ مكتسيةٌ بموسيقى العشب وكيف تتقدّمين
بين السكينة ونبات الخَلَنْج
صوب المرمى الأخير للسهم
فوق هذه الأرض الحمراء لبوئيوتيا
بين المارش الموسيقيِّ الموحش للصخر
سوف تشعلين حزَماً من النيران الذهبية
سوف تستأصلين حصادَ الشر من الذاكرة
سوف تتركين روحاً ممرورةً في النعناع البرِّيّ!

فتاة جميلة في حديقة

أنت تستيقظين على قطرْةِ ماءِ الظهيرة
في مفتَتَحِ أغنيةِ الشجر
آه كم أنتِ جميلة
بشعركِ البهيج المحلولِ المتهدِّل
ومن النبع الدفاق الذي جئتِ منه
هكذا ربما أسمع أنكِ تعيشين وتتجوَّلين!

آه كم أنت جميلة
منطلقةً مع مرح القُبَّرة
حول العُلَّيْق الذي يرفُّ عليكِ
مثل زفرةٍ تهبُّ ثم تتهالك ساقطةً
بشمس كبيرة في شعرك
ونحلةٍ في بهاءِ رقصتك

آه كم أنت جميلة
بالأرض الجديدة التي تتولَّهين بها
من الجذر حتى ذرى الظلال
بين شباك شجر الكافور
بنصف السماء في عينيك
ونصفِ سماءٍ آخر في عينيْ من تحبين

آه كم أنت جميلة
وأنت توقظين طاحونة الرياح
وتميلين بعشك جهة اليسار
حتى لا يضيع من الحب الغامرِ شيءٌ بَدَداً

وحتى لا يشكو ظل واحد
إلى الفتاة– الفراشةِ الإغريقيةِ التي أشعَلْتِها
عالياً ببهجة صباحك
مليئةً بأعشاب الشرق
مليئةً بالطيور التي تُسمع لأول مرة

آه كم أنت جميلة
وأنت تنضحين قطرةَ ماء النهار
على مفتتح أغنية الأشجار!

شجرةُ الرمّان المجنونة

"مزاجٌ متسائلٌ عن الأرواح السامية التي فقدتْ
عبيرَها ذات صباح باكر"

في هذه الأفْنية الناصعة البياض حيث تهب ريح الجنوب
صافرةً خلال الأوراق المقبَّبة، خبِّرْني هل هي
شجرةُ الرمان المجنونة
التي تتراقص في الضوء مُبَعْثِرَةً ضحكَها المثْقَلَ بالثمر
بنزق وغمغمةِ ريح، خبِّرْني هل هي
شجرة الرمان المجنونة
التي تنتفض ببراعمها الوليدة في الفجر الباكر
ناشرةً كلَّ ألوانها عالياً برجفةٍ ظافرة؟

حينما تستيقظ الفتيات العاريات في المروج

ليحصدن البرسيم الأخضر بأيد شقراء،
متحوّلات على تخوم النوم، خبِّرْني هل هي
شجرة الرمان المجنونة
التي تضع الأضواء بثقة في سلالهن المجْدولةِ حديثا
فتملأُ أسماءهن حتى الحافة بأغنية الطير، خبرني
هل هي شجرة الرمان المجنونة التي تناوش سماواتِ
العالم المضبَّبة؟

في النهار الذي يزدان مزهوّاً بسبع ريشات متنوعات
وقد أحاط الشمس الخالدة بألف مخروط يُعْشي البصر
أخبرني هل هي شجرة الرمان المجنونة
التي تقبض في المضمار على مَعْرَفَةِ حصانٍ من مائة خُصْلَة،
لاهي حزينة ولاهي شاكية، أخبرني هل هي
شجرة الرمان المجنونة
التي تصرخ عالياً بالأمل الوليد الذي لاح فجره الآن؟
خبرني هل هي شجرة الرمان المجنونة التي تهلّل
لنا من بعيد
مهفهفةً بمنديلٍ ورقيّ من نار باردة
بحرٌ يكاد يَهَبُ ولادةَ ألفِ سفينةٍ وسفينة
للأمواج التي تعلو ألف مرةٍ ومرة ثم تمضي إلى
شواطئ لم تطأها قدم، أخبرني هل هي
شجرة الرمان المجنونة
التي ترسل صريرَها الذي ينشر الأشرعةَ عاليا
في شفافية الهواء

عاليا بين الأشرعة ذات العناقيد الزرقاء التي
تلمع وتصطخب

بزهو، جَيَاشَةً بالمخاطرة، خبرني هل هي شجرة الرمان المجنونة
التي تشقُّ بالنور شراسةَ الطقس الشيطانيِّ في غمرة العالم،
إذ ينتشر مطلع النهار الزعفرانيّ من أقصاه إلى أقصاه
باذخَ الوشي بالأغاني المنثورة، خبرني هل
شجرة الرمان المجنونة
هي التي تَنْقُضُ برعونةٍ غَزْلَ حريرِ النهار؟

بين تنورات أول أبريل وزنابير منتصف أغسطس
أخبرني، هي التي تلهو، هي التي تمرح، هي التي تفتن،
منتزعةً من كل وعيدٍ ظلمتهَ السوداء الشريرةَ
ملقيةً في حضن الشمس بالطيور الطائشة
خبرْني، هي التي تبسط أجنحتهَا على سطوح كل الأشياء
على صدر أعمق أحلامنا، هل هي شجرة
الرمان المجنونة؟

الشمس الأولى

كثيرا ما أتكلم عن الشمس
فَتَشْتَبِكُ بلساني وردةٌ هائلةٌ قانية،
ومن ثم فإنه لايمكنني أن أكفَّ عن الكلام.

ماعدتُ أعرف الليل

ما عدت أعرف الليل، مجهولُ الموتِ الرهيب
أسطولٌ من النجوم يرسو في مرفأ قلبي
آه يا هسبيروس، يا نجمتي الحارسة، لعلكَ تْبرقين على
جانبٍ من نسيم سماء زرقاء على جزيرة تحلم
بي وأنا أنادي الفجرَ من مرتفعاتها الصخرية
عيناي تريانكِ تقلعين في عناق
مع نجمة قلبي الحقيقية: ما عدت أعرف الليل

أعرف لا أكثر أسماءَ عالمٍ ينكرني
أنا أقرأ أصدافَ البحر وأوراق الشجر والنجوم بجلاء
الكراهيةُ بالنسبة لي غيرُ لازمةٍ في طرق السماء
إلا أن تكون الحلمَ الذي يتعقَّبني مرةً أخرى
وأنا أمشي بجانب بحرِ الأبدية أذْرِفُ الدمع
آه يا هسبيروس، تحت قبة ناركِ الذهبية
ماعدت أعرف الليل أكثر من أنه ليلةٌ واحدةٌ فحسب.

جسدُ الصيف

مضى زمن طويل منذ سُمعَ آخرُ سقوطٍ للمطر
فوق النمل والسحالي
تشتعل السماءُ الآن بلانهاية
أشجارُ الفاكهة تصبغ شفاهها
تتفتح مسامٌ الأرض ببطء شديد
وبجانب نَزيزِ المياه متقطعةِ الأصوات

نباتُ هائلُ يحدِّق مباشرةً في الشمس.

من هذا الذي يتمدد على الشواطئ البعيدة
مستلقياً على ظهره، مدخّناً دخان أوراق الزيتون الفضية
والجداجدُ تُدْفيءُ نفسَها في أذنيه
النمل يسرع بالعمل فوق صدره
سحلياتُ تَرُوغُ في حشائش إبطيه الطويلة
وخلال طحالب قدميه تتسرب موجةُ بخفة
مرسلةً من تلك السيرينة الصغيرة التي غنت:

"آه يا جسد الصيف العاري، مقليٌّ أنتَ
ومأكولٌ بالزيت والملح
جسدُ الصخر ورجفةُ القلب
رجفةٌ هائلةٌ في جدائل الصفصافة
رائحة الحبق على دوائر الفخذين الملْتفّة
مليئةٌ بالنجيمات وأشواك الصنوبر
أيها الجسد العميق، يازورق النهار!"

الأمطار الوانية تتساقط، وانهمار البَرَدِ
تبتعد الشواطئ، مجلودةً بأظافر الرياح الشتوية
التي تغوص مع اللُّججِ المتوحشة إلى أعماق البحر
التلال تغطس في ضروع السحب الكثيفة
ولكن وراء كل ذلك أنت تبتسم بلا اكتراث
وتبلغ ثانيةً موعدَكَ الخالد
مثلما توجد مرةً أخرى فوق السواحل بفعل الشمس
ومثلما توجد في عزِّ عنفوانك العاري بفعل السماء.

نهارٌ ساطعٌ، مَحارةُ الصوت

نهارٌ ساطعٌ، محارة الصوت التي أبدعتْني
عارياً، كي أتمشّى طوال نهاراتِ الأحد
في صيْحة الشواطئ بالترحيب
يهبُّ أولُ ما عرف من الريح
يمتدُّ مَرْجٌ أخضر أليف
لعل الشمس تدحْرِجُ رأسَها فوقه
وتشعل بشفتيها أزهارَ الخشْخاش
أزهارَ الخشخاش التي سيقْطفها الرجالُ المتغطرسون
ربما لن تكون هناك علامةُ أخرى على صدورهم العارية
إلا احتدام الدم بفَوَران الكبرياء الباعثةِ للأسى
الموغلةِ بعيداً بُعْدَ ذاكرةِ الحرية

تكلمتُ عن الحب، عن نضارة الوردة، عن شعاع الشمس
الوحيد الذي يجد طريقه المستقيم للقلب
عن اليونان التي تمخر البحرَ برسوخ
اليونان التي تأخذني دائما في أسفارٍ
إلى عَرَاءِ جبالٍ من بهاء الثلج.

أَهَبُ نفسي للعدل
للينابيع الصافية، للربيع على قمة الجبل
سمائي عميقةُ ولا تتغير
كلُّ ما أحببتُه يولَدُ بلا انقطاع
ودائما كل ما أحببتُه في بدايته.

وأنا أشرب الشمس الكورنثية

وأنا أشرب الشمس الكورنثية
قارئا أطلال الرخام
واسعَ الخطى فوق عرائش من كروم البحر
مسدِّداً حربتي
إلى السمك الموعود الذي يَرُوغُ مني
وجدتُ أوراق الشجر تلك التي ترجِّع مزمور الشمس
وذكرى الأرض الحية التي يبتهل إليها الحنين
كي تنفتح

أشرب ماءً، أقطف فاكهة
أغْمِدُ يدي في أوراق الريح
أشجارُ الليمون تَذروا طَلْعَ أيامِ الصيف
طيورٌ خضرٌ تحوّم في أحلامي
وأنا أرحل، عيناي مفعمتان
بنظرة طليقةٍ إلى العالم الذي يغدو
جميلاً مرة أخرى من البدء طِبْقاً لمعيار القلب.

أسفل، على حوض الأقحوان الصغير

أسفل، على حوْض الأقحوان الصغير
بدأتْ عاسلاتُ النحل الصغيرةُ رقصةً مجنونة
الشمس في دأبٍ، الماءُ يترجْرَجُ
حباتٌ من سمسم النار تهوي ببطء
عيدانُ القمح الطويلةُ محنيَّةُ بالشمس الملتهبة

بشفاه برونزية، أجسادٌ عارية
مُلَوّحةٌ بالشمس في حمّيةٍ متّقدة
هيهْ! هاهْ! سائقو العربات يمرقون مهتزّي الرؤوس
بخيول تُخَوّض في زَلَقِ المنحدرات الهابطة
خيول تحلم
بمدينة هادئة ذات أحواض من المرمر
أو بغيمة برسيم على وشْكِ الهطول
فوق تل من شجر رفيع يلهب آذانَها
على إيقاع دُفوفِ حقولٍ واسعةٍ تطنُّ دقّاتُها للرقص
في الخلف في حقول الدخن تغفو فتياتُ الألعاب الصاخبة
نعاسُهن يفوح برائحةِ نيرانِ الاحتفالات المشْبوبة
الشمسُ ترتعش بين أسنانهن
جَوْزُ الطّيبِ يَقْطرُ من آباطهن
وغمامةُ سكرى تترنح في خفقات ثقيلة
فوق نبات الخلنج شذى حلوٌ ودائمٌ لشجرة العُنّاب.

الطفل ذو الركبة المتسلّخة

الطفل ذو الركبة المتسلّخَة
رأسٌ حليقٌ لاصقٌ بكتفيه، حلم مسترسل
ساقان بُخطّافَيْن متقاطعين
ذراع من الصنبور، لسان سمك
أخٌ صغيرٌ للسحاب!

أنت رأيت حصاةً مبللةً تَبَيّضُ بجانبك

أنت سمعت بوصاً يُصَفّر
أشدُّ ما عرفت من البراري جدباً
أكثرها احتشاداً بالألوان
عميقةٌ جدُّ عميقةٍ هي المشْيةُ المرحةُ للرأس المذهَّب
عاليةٌ جدُّ عاليةٍ هي قبّعةُ الكنيسةِ الصغيرة
بعيدةٌ جدُّ بعيدةٍ هي سفينةُ ذاتُ مداخنَ حمراء

أنت رأيت موجة النباتات حيث الجليدُ الأشيَبُ
يأخذ حمّامَ الصباح، ورقة الكمثْرى المدبَّبة
القنطرة عند منحنى الطريق
ولكن الابتسامة القاسية أيضا
فوق التلاطم المهول للأشجار
فوق الانقلابات الشمسية الهائلة للزواج
حيث تتقاطر الدموع من أزهار الياسنت
حيث يحلُّ قنفذُ البحر ألغازَ الماء
حيث تُنذِرُ النجوم بالعاصفة

طفل ذو ركبةٍ متسلّخة
تميمةٌ مجنونةٌ، فلكٌ عنيد
شورْتاتٌ هوائيةٌ
صدرُ الصخرة، زنبقةُ الماء
ولدُ السحابةِ البيضاءِ المتشرّدُ.

صبيُّ الحديقةِ الملاّحُ

بروح تتحدّى الريح وبالملح الأجاج على شفتيه

بردائه البحري وصندليْه الأحمرين
تَشبَّثَ بالسحب العالية
وهو يطأ أعشابَ البحر النابتةَ في السماء.
الفجر يصْفِرُ في محارته
حيزومُ سَفينةٍ يبلغ الزبد
أيتها الملائكة! ادفعي مجاذيفَكِ بعيداً
فربما كانت سيدةُ بشارتِنا ترسو هنا!

على الأرض القريبة، كم يعجبه نبلاءُ الحدائق العريقون
حينما يُدير عبّادُ الشمس قرصَه المشعَّث
تفيض ينابيع المياه
وتدخل سيدةُ بشارتِنا
عاريةً، تقْطُر بالزَّبَد، على جبينها نجمةُ البحر
على شعرها المحلول باقةٌ من القرنفل المتفتح
وعلى كتفها الملوَّحَةِ بالشمس سرطانُ البحر ما يزال يترنحّ.

يا أمَّ ربِّ طيوري البيضاء
يا غُرْغُونَتي يا سيدة البشارة!
أي دوائر من زرقة البحر وحمرة القرنفل تدوّي
بها مدافعُكِ على رصيف الميناء
وكم تطوي نيرانُكِ من مراكب المحارات
آه كيف تجعلين النخيل ينحني حينما تعصف الريح الجنوبية الغربية بجنون
وتَجْرفُ الرملَ والحصى!

تعبر الآمال عبر عينيها
بالقوارب المصنوعة من عظام سمك الَحبّار،
على الدلافين الثلاثة التي تتقافز وترقص

ومن ورائها، ترفرفُ الراياتُ معبَّأةً بالريح.

آه، بأي البنفسجات، بأي شُجَيْرات الزنبق
سوف أحفر- فلْتنزلْ علينا الرحمة!- علامة البَرَكة
على صدرك
لعلكِ تكرِّسينني لمصير آخر!

لا أستطيع احتمالِ الأرض
لا تستطيع أشجارُ البرتقال الحامضِ أن تُمْسِكَ بتلابيبي
فدعيني أُبْحِرِ إلى البحار المفتوحة بالبنادق وأجراس
الأديرة!
سريعاً يا سيدتي العذراء سريعاً
فإنني أسمع بالفعل صوتَ هَرَجٍ يعلو فوق زخارف الحصن
إنه يدوِّي فوق قضبان الصليب النحاسية
إنه يدوِّي ويدوِّي ويشتدُّ بعزم
تتوهَّج فضةُ زخارفِها كالشموس
آه، إنها تقودُنا- ألا تسمعونها؟-
آه، إنها تقودنا: بوبولينا!

والسيدةُ العذراءُ تهلِّلُ السيدةُ العذراءُ تبتسم
كيف يماثلها البحرُ إذْ يفورُ هكذا عميقاً:
- نعم، أيها الرأس الحَرون
نعم، يا ملاح الحديقة الصبيّ
في نعاسِكَ ثلاثةُ قواربَ مزْدَوَجَةُ الأشرعةِ تنتظرك!

إنه الآن بقبَّعته القشِّ المائلة وصندليْه الأحمرين
وبالمطواة المعقوفة في يده

يذهب ملاّحُ الحديقة الصبيّ
ويقطف الأزهار الصفراء
ويجعل السحب البيضاء تتهادى
الفجر يَصْفِرُ في محارته
البارودُ يتفجّر في الأحلام
عيد القيامة في أعشاب بحر السماء!

قواربُ نصفُ مطمورةٍ

قواربُ نصفُ مطمورةٍ
خشبٌ مُشَبَّعٌ بالسعادة
تهب ريحٌ حافيةُ القدم
فوق حجارة الشوارع الصامتة
ينحدر على منحدرات التلال الحجرية
الصامتُ، المجنونُ
الأملُ نصفُ المَهيّأ

أنباء عظيمةُ، أجراسُ
نصاعة لون النهار الأبيض في الفناء لخلفي
هياكلُ عظميةٌ على شاطئ البحر
دهاناتٌ، قطرانٌ، زيتُ التَّرْبَنْتِينَة
ترتيباتٌ من أجل العذراء مريم
التي عليها أن تحتفل بمهرجان آمالها
للأشرعة البيضاء والرايات الزرقاء الصغيرة
وأنتَ في الحدائق العليا

وحشٌ في شجرةِ الكمثْرى البريَّة
صبيٌّ أهيفُ ساذجٌ
الشمس بين فخذيْك
تستْافُ الرائحة
والبنتُ الصبيّةُ على الشط المقابل
تتوقّد ببطءٍ بسبب الأقحوان.

الريح التي تتهادى

هذه الريح التي تتهادى وتتثاءب بين أشجار السَّفَرْجَل
هذه الحشرة التي تمتص عناقيدَ العنب
هذا الحجر الذي تلبسُه العقربُ تحت جلدها
وهذه الأغْمارُ من القمح على أرض الحزن
وهذه لعبةُ المارد مع الأطفال الصغار الحفاة
أيقوناتُ يوم القيامة
على الجدران التي تُخَرْبِشُها أطراف الصنوبر
هذا البياض الذي يحمل على صفحته كلَّ ساعات الظهيرة
والأروقةُ التي تتصادى في مسامع الأشجار

صيفٌ هائل من الطّباشير
صيفٌ هائل من الاختناق
أشرعةٌ حمراءُ تتمايل في خفقات النسيم
كائناتٌ باردةٌ شقراء على قاع البحر، اسفنجٌ
أكورْديوناتُ الصخور
سمك البحر طازج بفعل بصمات الصياد المخبول

وهو يطوي قلوعَه عند خطوط صيد الشمس

واحد، اثنان: لن يخبرنا أحد عن قَدَرنا
ثلاثة، أربعة: نحن الذين سيحكون عن مصير الشمس.

مشينا في الحقول طوال النهار

مشينا في الحقول طوال النهار
مع نسائنا شموسِنا كلابِنا
لعبنا غنّينا شربْنا ماءً
عذباً كأنه تدفّق عبر الأزمنة
بعد الظهر جلسنا للحظة
وحدَّق كل منا في عين الآخر بعمق
طارت من صدورنا فراشةٌ
كانت أنصعَ بياضاً
من الغصن الأبيض الصغير الطالع من ذؤابة أحلامنا
كنا نعلم أنها لن تفنى أبدا
لأنها لم تتذكر أبدا أيَّ دودةٍ خلّفتْها وراءها
في الليل أشعلنا نارا
وحولها غنينا:
يا نار أيتها النار الحبيبةُ لا تأسَيْ على جذوع الخشب
يا نار أيتها النار الحبيبة لا تصيري رماداً
يا نار أيتها النار الحبيبة أحرقينا
أخبرينا عن الحياة.

إننا نحن من يحكي عن الحياة، نأخذها بأيدينا
إننا ننظر في عينيْها نفسَ نظرتِنا في عيوننا نحن
فإن كان هذا الذي يجعلنا سُكارى هو الفتنةُ
فإننا نعرفها
وإذا كان هذا الذي يؤلمنا هو سوء الخط،
فقد أحسسنا به
إننا نحن من يحكي عن الحياة، إننا نندفع إلى الأمام
ونقول وداعاً لطيورها المهاجرة

إننا ننحدر من سلالة عريقة.

فتاةُ البرتقال

أصبحتْ ثملةً جدا بعصير الشمس
حتى أحْنَتْ رأسها راضيةً
بطيئاً بطيئاً لتصبح: فتاة البرتقال الصغيرة!

وهكذا حينما توهجت السماوات السبع بالزرقة
هكذا حينما لامست البلّورات النار
هكذا حينما توامضَتْ ذيول العصافير
كانت الملائكة في الأعالي مذهولةً والفتياتُ على الأرض
كانت اللقالقُ في الأعالي مذهولةً والطواويسُ على الأرض
وتحلّقَ الجميعُ معاً ورآها الجميع معاً
وهم جميعاً أطلقوا عليهم اسم: فتاة البرتقال!

العناقيد والعقاربُ تترنح سكرى، العالمُ كله سكران
ولكن لَدْغَةَ النهار لن تترك الألم فحسب
فأبو قردان القميء يقول ذلك بين ديدان الأرض
وانهمار الماء يقول ذلك بين اللحظات الذهبية
والندى يقول ذلك على شفتيْ ريح الشمال الطيبة:

انهضي يافتاة البرتقال الصغيرة الصغيرة الصغيرة!
لا أحد يعرفك مثلما تعرفك القُبلة
ولا الإله الضاحكُ
- الذي يفتح بيده لوميض الشمس المتوهج
الذي يكشفك عريانةً أمام رياحه الثنتين والثلاثين-
يعرفك!

أغنيةُ البطولة والرثاءِ

للملازم الفقيد في الحملة الألبانيّة

- ١ -

هناك حيث أقامت الشمسُ أولَ مرة
حيث انفتح الجو انفتاح عينيْ عذراء
والهواء هَبَّ من هزَّةِ شجرةِ لوْزٍ مندوفةٍ بالثلج
وتأجَّجَ الخيَّالة على ذؤابة الربيع

هناك حيث دق حافرُ شجرةِ الدلب التي لا تَهاب شيئا
رفرفتْ رايةٌ عالياً بالأرض والماء
حيث لم تُثْقل الأسلحةُ ظهورَ الرجال أبدا
بل عبءُ السماءِ كلّها
كلُّ العالم كان يبرُقُ مثل قطرةِ الماء
في الصباح، عند قدم الجبل

الآن، كأنما من تَنْهيدةِ إلهٍ، يتمدَّدُ ظِلّ

الآن تَنْقَضُّ سكرةُ الموت بيدين من عظام
تأخذ الأزهار وتخنقها واحدةً واحدة،
في الحلوق التي غُصَّتْ بالمياه
تكمن الأغنيات الجائعةُ للفرح؛
راهبةُ الصخور ذاتُ الشَّعْرِ البارد
تُكَسِّر الخبزَ المنذورَ للوحدة في صمت

يخترق الشتاءُ عظامَ الرأس. شيءٌ ما شريرٌ
سوفَ يتَّقِدُ. شَعْرُ الحصان- الجبلُ ينمو بوحشية
النسور في الأعالي تتخاطف كِسَر السماء.

-٢-

في المياه الطينيّة يعلو الآن فَوَرانٌ؛
الريح المشتبكة بالأغصان المتبرْعِمة
تهبُّ بترابها بعيدا
الثمار تنْفلق عن النوى
الأرض تُخفي أحجارَها
الخوف يحفر حفرةً يغوص فيها
في تلك الساعة يتبعثر على أديم الحقل
من هزيم السماء عُواءُ ذئبِ السحابة
بدمدماتِ العاصفة
وحينئذ ينتشر الجَمَدُ بلا رحمةٍ ناشراً الثلوج
ثم يرسل صهيلَه فوق الوديان المحاصرة
ومن ثَمَّ يجعل الرجالَ ينادي بعضُهم بعضاً:
النارُ أو السيف!
من أجل هؤلاء الذين يرفعون النار أو السيف
سوف يتأجَّجُ الشرُّ هنا. لا تدع الصليبَ يَقْنَط
بل دعْ أزهارَ البنفسج فحسب تطلق صلواتِها بعيداً عن الصليب

-٣-

كان الليل عندهم نهاراً أشدَّ مرارةً
أذابوا الحديدَ، مضغوا الرُّغام
كان إلهُهم يفوح بالبارود والجبروت
كلُّ صاعقةٍ كانت موتاً يخطو في الريح
كل صاعقةٍ كانت رجلا يبتسم على الجانب الآخرِ

من الموت- فَدَعُوا القدرَ يملي مشيئته.

فجأةً فَقَدَت اللحظةُ سياقَها ووُجدت الشجاعةُ
في مواجهة الشمس، ألقتْ بالشظايا إليها
المناظيرِ المزدوجةِ، المزاغلِ، هاوناتِ الجليد!
تمزَّق الهواءُ بيسر كأنه قماش
وانْفتحت الأحجارُ بيسر كأنها رئاتُ
وتَدَحْرَجَت الخوذةُ من جانبه الأيسر..

ارتعبت الجذور للحظةٍ في الأرض
حينئذ انتشر الدخان ومضى النهار مهيباً
لَتصْطَخِبَ الضوضاءُ المتصاعدةُ من الأصقاع الجهنمية
ولكن الليلَ اشْرَأبَّ بنصف قامتِه كحيَّةٍ مترنحة
حينما استكنَّ الموتُ بين أنيابها للحظةٍ
ثم انزلقتْ فجأة بين أطراف أصابعه الشاحبة

-٤-

إنه يرقد الآن على سُتْرته العسكرية المحترقة
وقد توقَّفَ النسيمُ على شعره المسْتكين
وعلى أذنه اليسرى غصنٌ من السلوان
إنه يشبه حديقةً طارت عنها الطيورُ فجأةً
ويشبه أغنيةً مخنوقةً في الظلام
ويشبه ساعةَ ملاك توقفتْ
بالضبط حينما قالتْ أهدابُ العين: "وداعاً، أيها الأولاد"
وتحوّلت الدهشةُ إلى حجر..

إنه يرقد على سترته العسكرية المحترقة
من حوله حِقَبُ القرون السوداء
تنبح في الصمت المرعب بهياكل عظامِ الكلاب
والساعاتُ التي أصبحتْ من حديدٍ حمائمَ من حجر
تُنصت بانتباه؛
ولكن الضحك كان لافحاً، ولكن الأرض كانتْ قد أُخْرِسَتْ،
ولكن أحدا لم يسمع صرخته الأخيرة
العالم كله كان قد أصبح خاوياً بصرخته الأخيرة.

تحت خمسٍ من شجرات الأَرْز
بغير شموع أُخرى
إنه يرقد على سترته العسكرية؛
الخوذةُ فارغةٌ، الدم معجونٌ بالطين،
وبجانبه نصفُ ذراعه المبتور
وبين حاجبيه
حفرةٌ مريرةٌ، بَصْمَةُ القدر
حفرة صغيرة مريرة داكنة
حفرة تغدو عبرها الذكرياتُ باردةً.

آهٍ لاتنظرْ آه لاتنظرْ من أين
من
أين انسربتْ حياتُه. لا تقل كيفَ
لاتقل كيف تبدَّدَ دخانُ الحلم في الأعالي
هكذا اللحظةُ إذن هكذا إذن
هكذا اللحظة إذن قد أفضتْ إلى الأخرى
وهكذا غَرُبَتْ الشمسُ الخالدة عن العالم فجأة.

-٥-

أيتها الشمس، ألم تكوني الشمسَ الخالدة؟
أيها الطائر، ألم تكن لحظةَ الفرح الذي لا يدوم؟
أيها السطوع، ألم تكن جرأةَ السحابة؟
وأنتِ، أيتها الحديقة، يا موسيقى حجرةِ الأزهار،
وأنت، أيها الجِذْرُ الملْتوي، يا مزمارَ شجرةِ المانوليا الفاتنة!
تماما كما تنتفض الشجرة في المطر
والجسد الخاوي يَسْوَدُّ من المصير
ويتصارع رجل مخبولٌ مع الثلج
وكلتا العينين على وشك البكاء-
لماذا، العُقابُ يسأل، أين ذلك الشابُّ الشجاع؟
وكلُّ أفْراخ العُقْبان تُخَمِّنُ، أين يمكن أن يكون الفتى الشجاع؟
لماذا، الأم تسأل متفجعةً، أين ولدي؟
وكل الأمهات يتعجَّبْن أين يمكن أن يكون الصبيّ!
لماذا، الرفيق يسأل، أين يمكن أن يكون أخي!
وكل رفاقه يخمِّنون أين يمكن أن يكون أصغرُ الجميع!
أنهم يقبضون على الثلج، والحمّى تشتعل
إنهم يتشبَّثون باليد وهي تتجمّد
إنهم يحاولون مضْغَ الخبز وهو يقْطرُ بالدم
إنهم ينظرون إلى السماء البعيدة ولكنها تُظلم
لماذا لماذا لماذا لن يجلبَ الموتُ لنا الدفء
لماذا خبزٌ مُدَنَّسٌ هكذا
لماذا سماءُ كهذه كانت الشمسُ تقيم بها ذاتَ مرة!

كان شابا وسيماً، في يوم مولده
انحنتْ جبالُ "ثراس" لتزفَّ الخبر
إلى الحنطة البهيجة على مناكب الأرض الراسخة؛
جبال "ثراس" تنْحني وتبارِكُه برِيقِها
مرةً على الرأس، ومرةً على الصدر، ومرةً وسْط صراخِه؛
فجاء اليونانيون بسواعدَ مرعبة
ورفعوه عاليا في القِماطِ المنسوج من ريح الشمال..
وأسرعت الأيامُ لترى من سيقْدِرُ على إرساءِ أعمق حجر
تَبَخْتروا وغمزُاوا بالمهاميز إذ ركبوا الأفراسَ الفتيَّة
وطوى الصباح أنهارَ "سْتريمون"
حتى تَفَتَّحَتْ شقائقُ النعمان البِّريَّةُ في كل مكان
ومن نهايات الأرض
جاء رعيانُ البحر ليسوقوا قطعانَ أشرعتهم
إلى كهفٍ في البحر تنفَّس عميقا
إلى حجر كبير تَنَهَّد.

كان شاباً صنديدا؛
بين سواعد فتيات البرتقال الحامض في الليل
ودَّ أنْ يَعْبَثَ بتّنوراتِ النجوم الواسعة
كان الحبُّ في جوانحه هائلاً
حتى أنه كان يشرب رحيقَ الأرض كلها في النبيذ
مواصلاً رقصتَه الأخيرةَ مع عرائس أشجار الحورِ الأبيض
حتى سمعه الفجر وسكبَ على شعره الضوء
الفجر الذي سيلقاه بذراعيه المفتوحتين
وهو على صهوة غصنيْن صغيريْن يَخْدِشُ وجهَ الشمس،

ويرسم الأزهار
أو يغني مرة أخرى بمحبةٍ أغنيةَ مَهْدٍ رقيقة
إلى أفراخ البوم التي تَجْثُمُ يقْظى طول الليل..
آه كم كان زفيرُه من الزعتر الفوّاح،
وكم كان صدرُه العاري خريطةً للكبرياء
حيث تتفجر البحارُ والحرية...

لقد كان شابا شجاعا؛
بأزراره الذهبيَّة الكابيَةِ ومسدَّسِه
بأماراتِ الرجولة في خطاه
بخوْذَتِه، بدرعِه اللامعة
(هكذا أدركوا بسهولةٍ ما يدورُ برأسه
هو الذي لم يكن يعرف الشرَّ أبدا)
مع جنوده عن شِمالٍ ويمين
والثأرِ لِماَ وَقَعَ من مظالم أمه
تَضَرَّمي أيتها الشعلة المتمرِّدة!-
بدم فوق حاجبيْه
أرْعدت الجبالُ الألبانية
فَذَوَّبَت الثلجَ حتى تغسل
جسدَه، حطامُ سفينةِ الفجر الصامتِ
وفمه، طائرٌ صغير أخرسُ الغناء
ويداه، وديانٌ وسيعةٌ من الوحشة
أرعدت الجبالُ الألبانية
لم يبكوا
لماذا يبكون
وقد كان فتى صنديداً!

-٧-

الأشجار مجبولةٌ من فحمٍ لا يستطيع الليلُ إشْعالَه
تنقضُّ الريح، تعصفُ وتثور من جديد.
لا شيء. في قلب جَمَدِ البْردِ تخِرُّ الحبال جاثيةً
على ركبتيهْا. ومن الحناجر النابحة
من رؤوس الموتى تَنْفَغِرُ الهوّة...
حتى الرحمةُ لم تعدْ تبكي. مثل فتاة يتيمةٍ مجنونةٍ
تتجول بلا غاية، حاملةً على صدرها صليباً من الأغصان
إنها لا تبكي، إنها محاطة فحسب بجبال "أكرُوكِير افِنيا" السوداء
تصعد عالياً وتتّخذ من القمر مرآة ذكرى
فلعلَّ الكواكبَ في دوَرانِها ترى ظلالَها
وتخفي أشعتهاَ
وتتوقّفُ
هناك في السديم مذهولةً، لاهثةً..

الريح تهبّ، الريح تعصف وتثور من جديد
الوحشةُ تُحْكِمُ شالَها الأسود من حولها
وقد ركعتْ تحت السحب الموسمية، جاهدةً أن تسمع
ما الذي تَجْهَدُ أن تسمعه، وقد ولّت السحب الموسمية؟

بما تَشَعَّثَ من ضفائرها على كتفيْها- اتركوها لحالها-
أَمْ تبكي لبقايا شمعةٍ خابية- اتركوها لحالها-
في الغرف الخاوية المثلّجة حيثُ تتخبَّط، اتركوها لحالها!
لأن القدر لايبكي لموت أحد
والأمهات خُلِقْنَ للبكاء والرجالُ للقتال
الحدائقُ لانعقاد الزهر في صدور البنات

الدمُ للتضحية، وعلوُّ المدِّ للانحسار
والحريةُ للولادةِ الطليقةِ كالبرق!

-٨-

أخبروا الشمس إذن أن تجد لها طريقا جديدا
إذا كانت تريد ألا تفقدَ شيئا من شموخها
فالآن قد أظلمت أرضُ وطنِها الأمّ
أو فَلْنَدَعْها إذنْ مرةً أخرى للحظةِ مخاضِها اللازَوَرْدِيّ
من الأرض والماء لتأتي في مكان ما بأختٍ أصغر، اليونان.
أخبروا الشمس أن تجدَ لها طريقا جديداً
دعوها لا تواجه - من بَعْدُ - حتى زهرةَ الربيع
وأخبروا زهرة الربيع أن تتفتح ببكارة أخرى
وألا تُغرسَ بأصابعَ لا تكون صاحبتَها
أطلقوا اليمام البريَّ من بين الأصابع
ولا تدعوا صوتاً يفضح هُياجَ الماء
ومثلما تتنفس السماءُ بعذوبةٍ في محارةٍ فارغةٍ
لا ترسلوا علامةَ يأسٍ واحدةً إلى أي مكان
بل اجتلبوا من حدائق البسالة
أشجارَ الورْدِ حيث ترنّحتْ روحُه وتمايَلَتْ
أشجارَ الوردِ حيث تردَّدَتْ أنفاسُه
عندما كانت عذراءُ الشرنقة الصغيرة
تتحوَّل في أطوارها كما يتهدَّل الحرير
في الشمس، حينما تكون طيورُ الذهب سَكْرى بعسْجد الغبار
والطيورُ تسرع كي تسمعَ من الأشجار
من أي سلالة من أي البذور اشرَأَبّت الأرضُ
ذائعةَ الصيت

-٩-

امْنَحْه يدين جديدتين فإن الذي يمضي الآن
إلى الأعالي يهدْهِدُ أطفالَ النجوم
امنحهْ قدمين جديدتين فإن الذي يلحق بالركب الآن
سيكون المقدَّمَ في رقصاتِ كوكبة الملائكة!
وعينين جديدتين-يا إلهي العزيز- حتى تتلفتا حيث
الليلكات الصغيرة
ستوضَعُ للحبيبة الآن حتى ينحني وينظر!
دماً جديداً، فبأي هتافٍ فرحٍ سوف يتوهجون
وفماً، فماً مطمئناً من البرونز والقطيفة
لذلك الذي سيقول الآن من بين السحب
"في صحتكم، أيها الأولاد"
في النهار، من سيتحدَّى أوراقَ شجرةِ المشمش
في الليل، من سَيُرَوِّضُ المحاصيلَ الخضراء
من الذي سيبعثر مناديلَ الكنيسة الخضراء في الحقول
أو يصرخ بشجاعة، مواجها الشمس
ليرتدي العواصف، ويمتطي حصانا شموسا
ويغدو "أخيل" أحواض السفن!
من سيصعِّد في الجزيرة السوداء الأسطورية الموحشة
ليقبّل الحصى بمهابة
ومن الذي سينام
ليمرَّ بأهل جزيرة "إيُوبُويا" في الحلم
ليجد يديْن جديدتين وقدمين وعينين
ودماً ولغةً
ليزرع نفسَه مرة أخرى في أرض الحصاد البيضاء
ولينقضَّ- ويالها من لحظةٍ-
لينقضَّ بكل قداسته على الموت!

-١٠-

الشمسُ، وصوتُ البرونز، والرياحُ الموسميّة المقدسة
عقدتْ مواثيقَها على صدره "أيتها الحياة، فَلأُنلْ منكِ الفرح!"
لم تكن هناك غرفة لقوةٍ أشدَّ ظلاما
إلا من ضوء يسقط من غصنٍ غارٍ
وفضة من قطرات الندى، وَوَحْدَهُ هناكَ الصليبُ
توهَّجَ كالبرق كأن مَجْدَ العظمة ينْبَلج
والخيرُ يتجلّى بسيفٍ في يده
ليقول من أغوار عيْنيه وما يرفُرِفُ فيهما من أعلام:
"إنني أحيا!"
نهارُك سعيدٌ أيها النهر الذي سيشهد في انبلاج الصبح
شبيهاً بابن الربِّ وبين أسنانه
عسْلوجُ رمّان، مضَمِّخاً نفسَه بمياهك؛
ونهارُكِ سعيدٌ، يا شجرة البَشْمَلةِ البَرِّيَّة التي نمتْ بقوةٍ
حينما أرادَ "أندروتسوس" أن يدخل في أحلامه!
وأنتَ، يا نبع الظهيرة الصغير يا من وصل إلى قدميه
وأنتِ، أيتها العذراء يا من كنت هيلانتَهُ
وكنتِ طائرةَ ومريمَه وكوكبةَ نجومِهِ
لأن الحب الممنوحَ من رجلٍ لو أعلنَ عن نفسه
ولو مرةً واحدةً في الحياة، بارقاً من
نجمة إلى نجمةٍ في الفلك الخبيء،
فإن الصدى الإلهيَّ حينئذ سوف يهيمنُ على كل مكان
ليقدسَ الغاباتِ بالقلوب الصغيرة للطيور
وبكلماتِ الشعراء مع قياثر الياسمين

ويُنْزِلَ بالشرِّ السريِّ العقابَ الأليم حيثما يكون-
ويُضْرِمَ النارَ المتأججةَ، يُعذِّبَ الشرَّ السريَّ حيثما يكون.

-١١-

هؤلاء الذين تورَّطوا في الشر- لأن الندم
قد ذهب بأبصارهم، أخذوا يترنّحون
ولأن الرعب قد عصف
بندمهم- تلاشَوْا في السحابة السوداء.
إلى الوراء! وبلا ريش على جباههم
إلى الوراء! ولا أظافرَ في أقدامهم
هناك حيث يُعَرّي البحرُ عرائشَ الكروم والبراكين
لحقول وطنهم مرة أخرى، ولخطوط المحاريث.
إلى الوراء! إلى الأماكن التي فيها تمزِّقُ الأصابعُ الشبيهةُ
بمخالب الكلاب اللحمَ وحيث تدوم العاصفة
كما يدوم الياسمين الأبيض في صيف النساء!

هؤلاء الذين اقترفوا الشرَّ- أخذتْهم سحابةٌ سوداء
إنهم بلا حياة تعود بهم من الموت مع النار والمياه الباردة
مع ضأن ونبيذٍ وطلقاتِ بنادقَ وبصاقٍ وصليبٍ من
عساليج العنب
لم يكن لهم جَدٌّ من سنديان ولا ريح زمهرير
في كمين لثمانية عشر يوماً بلياليها
بعيون مكْدُورَةٍ؛
أخذتهْم سحابةٌ سوداء- إنهم لم يمتلكو عمّاً
ليعود بهم من أطْلَقَ المدفع، ولا أباً هو الذي حشا البارود
أو أماً هي الذبيحة بيديها
أو أمَّ أمٍّ ذاتَ صدرٍ عار
هي من مَنَحتْ نفسَها لانطلاقِ الموتِ وهي ترقص!

إن الذين اقترفوا الشرَّ- قد أخذتهُم سحابةٌ سوداء
ولكن ذلك الذي واجَهَ الشرَّ على طريق السماء
يعلو وحدَه الآن متوهجاً بالضوء.

-١٢-

في صباحٍ يخطو على العشب النامي
يعلو مجده متوهجاً بالضوء...

تموج نحوه الصبايا اللاهياتُ متفتّحاتٍ في خفاء
يتحدثن إليه بأصوات عالية تغدو ضباباً في الريح
حتى الأشجار تميل نحوه بحب
بأعشاشها المحفورة في آباط غصونها
بضروعها المغمورة بعصير الشمس.
معجزة، يالها من معجزة، قريبة على الأرض
قبائل بيضاء بأسلحة محاريث لازوردية تشق الحقول
سلاسل الجبال تلتمع كالبرق من بعيد
وأبعد منها الأحلامُ العصيَّةُ لفصل الربيع في الجبال!

إنه يعلو وحدَه متوهجاً بالضوء
هكذا يتجلّى قلبُه ثملاً بالضوء
وبين السحب يرى جبل الأولمب ذاتَه
وأدعيةُ رفاق حوله في الريح...
الحلم ينبض الآن أسرع من الدم
على جانبي الطرقات تتجمع الحيوانات

تتهارش كالجنادب وتبدو كما لو كانت تتكلم
العالم كله متعدِّدٌ في الحقيقة
عملاقٌ مهولٌ يلاعب أطفاله.

أجراسُ من البلور تصلصل بعيدا
غدا، غدا يقولون: عيدُ قيامةِ السماء!

-١٣-

أجراس من البلور تصلصل بعيدا-
إنهم يحكون عنه هو الذي احترق في الحياة
مثل عاسلة النحل في رَيعان الزَّعْتر البريّ؛
عن الفجر الذي اختنق بين الأحضان الترابية
مع أنه كان يبشر بنهار ساطع؛
عن نديف الثلج الذي ومض في الذاكرة ثم خبا
حينما كانت لعلعةُ الطلقات تُسمع من بعيد
وقد طارَ القَطا الألبانيُّ مُعْوِلاً في الفضاء.

إنهم يحكون عنه هو الذي لم يُمنح الوقتَ ليبكي
أشواق حبه العميق للحياة
بينما تدافعت الريح بعيدا بقوة
والغربان نعبت على أضواء الطاحونة المخرَّبة،
يحكون عن النساء اللائي غصصن بموسيقى متوحشة
وهن واقفات مشرئبات بجوار النافذة يعتصرن مناديلهن
عن النساء اللائي يجعلن اليأس ييأس

وهن ينتظرن العلامة السوداء هناك حيث يبدأ الحقل
وحينئذ تنطلق دقات الحوافر الثقيلة خارج العتبة
إنهن يحكين عن دفئه ورأسه المشعَّث
عن عينيه الواسعتين حيث كانت تستقر الحياة
هكذا عميقا لعلها لا تبرحهما ثانيةً أبدا!

-١٤-

ينبض الحلم في الدم الآن بسرعة أكبر
فتدوِّي أرسخُ لحظات العالم يقيناً:
الحرية
اليونانيون يرون الطريق في الظلام:
ا ل ح ر ي ة
من أجلك ستفيض عينا الشمس بدموع الفرح.

الشواطئ المبرقشة بقوس قزح ستهوي في الماء
سفن ذات أشرعة مرفوعة تمخر مروج البحر
أكثر الصبايا براءةً
يجرين عاريات في عيون الرجال
وصيحات حَيِّةٌ من وراء السياج
أيها الأولاد! ليس من أرض أخرى أبهْى جمالاً

تجلجلُ أرسخُ لحظاتِ العالم يقيناً!
في صباح يخطو فوق العشب النامي
هو يصعد باستمرار؛

من حوله تتوهج تلك الآلام هذه المرة
وقد تاهت في وحشة الخطيئة؛
آلام تتوقد، وجيرانُ قلبه؛
طيورٌ ترحّب به، تبدو له كأنها إخوته الصغار
رجال يحيونه، يبدون له كأنهم أصحابه
"ياطيورُ يا أعزائي الطير، هذا ما ينتهي عنده الموت،!"
"يارفاق يا أعزائي الرفاق، هذا ما تبدأ عنده الحياة!"
ندى الجمال المقدس يتلألأ في شَعْرِه.

أجراسُ البلور تصلصل بعيدا
غدا، غدا، غدا: عيد قيامة الرب!

ستُّ ضراعاتِ ندم
وضراعةٌ واحدةٌ إلى السماءِ

الجمالُ والأمّيّ

غالبا ما تهفو روحُها، في إغفاءة السحر، إلى أن تشعل
ضوءاً كاشفا عبر تقاطع الجبال
مهما يكن النهارُ جارحاً والغدُ مجهولا.

ولكن حينما كانت ظلال السماء تزداد قتامةً، ويد القسيس
تعلو كعادتها فوق حديقة الموتى الصغيرة، فإنها
ستقيم، وحدَها، مع أولئك الودعاء من أهل الليل–
أغصانُ حصى البان الفواحة والدخان المهيبُ من المجامر
سهرانةٌ عشيةَ العيد على أعتاب البحر،

ما أغربَها جميلةً!

كلماتٌ صريحةٌ هي كلمات الأمواج أو نصفُ مضْمَرَةٍ في اصطخابها،
وكلماتٌ أخرى تلك التي تحاكي كلمات الموتى،
وتلك المفاجئة بالرَّوْع بين أشجار السَّرْوِ، كأنها علاماتٌ
غريبةٌ من فلك البروج المدوَّمة
وقد أضاءت قمتها الممغنطة.
وجلاءٌ لا يُصَدَّقُ سمح للمنظر الخلويِّ الحقيقيِّ أن يظهر
متخلّلاً إياها من مسافة بعيدة.

هناك، بجوار النهر، الرجالُ البسطاءُ يصارعون الملاك،
مُظْهِرينَ بأي طريقة يولَدُ الجمال
أو ذلك الذي– بطريقة أخرى– نسميه دمعةً.

أنت أحسستَ بملامحها فَيّاضَةً بالتأمل، بقدر ما استغرقتْ

فيه، ذلك التأمل الذي الْتَمعَ بالمرارة في العيون، وفوق عظام وجنتيْها، كالدموع التي كانت لبغيٍّ المعبد القديمة.

ممدَّدةٌ هي بين الحدود القصوى لبرج الكلب الأكبر
وبرج العذراء.
"بعيدا عن حريق المدينة، حلمتُ أن أكون بجوارها
في بريةٍ لا معنى للدمعة فيها، وحيث يأتي الضوء
الوحيدُ من حريق هائل
يلتهم كلَّ ما أملك.

"كتفاً إلى كتفٍ، حملْنا معاً ثِقَل ما سوف يكون،
أقسمنا بالسكينة المطلقة وميثاق ملكوت النجوم

"وعلى الرغم من أنني لم أفهم، أنا الرجل الأمي، أن ذلك
كان يقيناً، في سكينةٍ مطلقة، حيث كانت تُسمع
أعنفُ الاصطخابات ترْويعاً،

"فكيف، من لحظةِ الوحدة التي أصبحتْ لا تُحتَملُ في
قلب الإنسان، قد بُعثرتْ ونُثِرتْ النجوم!"

التشريح

حسناً وُجدَ أنه قد تَقطَّرَ ذَهَبُ جذورِ الزيتون
في أوراق قَلبه
ولأنه قضى الليلَ مراراً بجانب شمعدان،

منتظراً طلوع الفجر، فقد استولتْ عليه
غَيْرَةٌ غريبةٌ حتى النخاع.

تحت سطح الجلد، خطُّ الأفق اللازوردي بألوانه المتدرِّجة
القوية، ما يكفي من اللازورد في دمه.

ويبدو أن صيحات الطيور، التي استشعرها قلبهُ في
ساعات الوحدة الباطشة، قد انفجرتْ مجتمعةً، ولذلك
فقد كان غيرَ ممكنٍ للمشرط أن يخترقه
إلى مسافة أعمق.

من المحتمل أن الدافع كان كافيا للشر
الذي واجهه- هذا واضح- في هيئة البريء المرتعب.
فعيناه مفتوحتان ومَزْهُوَّتان، والغابةُ كلها
ما تزال تتحرك على شبكيّتيْهما الصقيلتين.

لاشئ في مخّه سوى صدى السماء المتكسر.

في صيوان أذنه اليسرى فحسب، حباتٌ قليلةٌ ناعمةٌ
من الرمل شديد الصفاء، كما في محار البحر. مما يدل
على أنه طفا متهاديا على البحر طويلا، وحيداً تماماً،
مع أسى الحب العاصف وزئير الريح.

أما لسعات النار بين فخذيه، فإنها تدل في الحقيقة
على أنه لم يتوان عن قضاء ساعات طويلة منهمكا
كلما اندمج مع امرأة.
إننا سنجني فاكهة باكرةً هذا العام.

نومُ الشجاع

هم ما يزالون يتشمَّمون البخور، وملامحهم متقبِّضةٌ
بمرورهم عبر الأماكن الواسعة المظلمة.
هناك حيث طرحهم اللامتحرك فجأة
منبطحين، على أرضٍ أصغرُ شقائق النعمان فيها
يكفي ليزكُمَ حتى هواء الجحيم

(امتدتْ إحدى اليدين، كما لو كانت تكابد لتقبض على
المستقبل، والأخرى تحت الرأس الوحيد الذي يتلفّتُ
إلى كل ناحية

كأنه ينظر لآخر مرة، عميقا في عيني حصان
منزوع الأحشاء، من الخرائب المكوَّمة
يصعد الدخان).

هناك أطلق الزمنُ سراحَهم، جناحٌ واحد. الأشد حمرةً،
غطى العالم، بينما الجناحُ الآخر ما يزال يرفرف بنعومةٍ
في الفضاء،

وليس من تقطيبةٍ واحدة أو غُصَّةِ ندمٍ، ولكن في عمق سحيق
الدم العتيق يبدأ الكدْح ليُطلع الفجرَ في
سماءٍ حالكةِ السواد،
شمسٌ جديدةٌ، لما تنضجْ بعدُ،
ليستْ قويةً بما يكفي لتذيبَ الصقيعَ عن الحُملان في
البرسيم الغض، إن قُوى المعجزة ما تزال مبدَّدةً،
قبل أن تتبرعَمَ شوكةٌ واحدة، بفعل قوى الظلام التي

تصنع المعجزات
ومنذ البدءِ، وديانٌ، جبالٌ، أشجارٌ، أنهارٌ،

توهجت خليقةٌ من العواطف الثّأرية، متماثلةً ومع ذلك
متناقضة، ربما كان يعبر خلالها الرجلُ الشجاع الآن،
والجلاّدُ يسقط خلالها ذبيحاً،*

يالزُرّاع اللازورد اللانهائيّ!
لا الساعةُ التي تدق الثانية عَشْرةَ في أحشاء الأرض، ولا
الصوتُ القطبيُّ الساقط عمودياً بدّدا وقْعَ خطاهم

إنهم يقرأون العالم بنهمٍ بعيون مفتوحةٍ للأبد، هناك
حيث طرحهم اللامتحرك فجأةً

منبطحين على الأرض، حيث تنقضّ النسور لتتلذّذَ
بالتهام أحشائهم الطينية وتحسو دماءهم

نوم الشجاع
"تنويعات"

يورد الشاعر في هذه التنويعات نص القصيدة
السابقة كما هو، حتى الفقرة المشار إليها ويحذف
الباقي، ثم يضيف ما يلي:

يالزراع اللازورد اللانهائيّ!
بلا شهور أو سنوات لتحوّلَ ذقونهم إلى البياض، تتحول
عيونُهم بين الفصول كي تستردَّ للأشياء أسماءَها الحقيقية.

*بعد هذه الفقرة؛ تبدأ "التنويعات" في قصيدة تضيف إلى الفقرات السابقة مع حذف ما يليها من بدء "التنويعات"

ولتبعث لكل وليد فتح كفَّيْه، بصخب البراءة
التي تواصل تقوية الشلالات، لا صداها فحسب..
قطرةٌ واحدة من الماء الصافي، تتدلّى بشجاعة فوق الهاوية،
هم أسموها الفضيلة، ومنحوها هيئةَ وجسدَ طفلةٍ.

الآن تهبط "الفضيلة" الصغيرة طول النهار وتعمل جاهدة
في تلك الأماكن حيث كانت الأرض تتعفن بالجهل،
وحيث الرجال قد استسلموا بغموض لخطاياهم الدامسة،

أما في الليل فإنها تَعْمَدُ إلى الطيران دائما كي تأوي هناك عالياً في حضن الجبل كأنها تلوذ بصدر إنسان مُلَبَّدٍ بالشَّعر.

والضباب المتصاعد من الوديان، هكذا يقولون، ليس ضبابا،
بل هو الحنين الذي يتبخرُّ من الشقوق في نوم الرجل الشجاع.

باختصار

هكذا أشعلتني الغَيْرَةُ حتى ارتدَّ توقُّدي إلى الشمس،
فردَّتْني ثانيةً إلى جملةٍ مركَّبَةٍ من الحجر والهواء.
مَرْحَى إذن، يا من بحثتُ فيكَ عني.
أيها الصيف الكتّانيُّ، أيها الخريفُ الوقور،
يا أكثرَ الشتاءاتِ وَهَناً
الحياةُ تدفع البخسَ ثمناً لورقة زيتون
وفي ليلة من ليالي الحمقى تستمد شرعيةُ ما لاأمل فيه
قوتها، مرة أخرى، من صرير جُنْدُبٍ صغير

أصلُ مشهدٍ ريفيّ
أو
"نهاية الرحمة"

في لمحة واحدة، لملم ظلُّ العصفور حصادَه من
النظر إلى ما تَلَهَّفَ عليه: الظهيرة.

ممسكةً بحصاة مدبَّبةٍ، نقشتْ الشمسُ ببطء ومهارةٍ
فوق أكتاف "كوريه إيوثيديكوس" أجنحةً
صغيرةً من الأنسام العليلة

يدأب الضوءُ في العمل على لحمي، حيث ظهر على صدري لوهلةٍ
وشمٌ غائرٌ، حيث مَسَّني الندم،

وجريتُ كالمجنون، بعد ذلك، من بين الأوراق الذابلة
انتشلني النومُ وطهَّرَني وبقيتُ وحدي. وحيداً.

حسدتُ قطرةَ الندى التي تقدَّسَتْ بها كؤوسُ الفِصْح غيرُ المرئية.
فهل سأشتهي أن أتأرجح في العين المندهشة
فيحالفني الحظ حتى أشهد نهاية الرحمة!
أم لعلي كنت هناك؟ في خشونة الصخرة،
من القمة للحضيض، أستكشف مسالكي الوعرة
التي مزقت الوحش أشلاءً في زمن آخر.

والرملُ في البراح، ذاك الذي تراكم فوقي من البهجة
الممنوحةِ لي من البحر ذات مرة حينما كان رجالُ
يجدّفون على الله فسبحتُ مسرعاً بضربات متلاحقة

حتى أضيّع نفسي فيها: هل كان ما أبحث عنه هو:
البراءة؟

مثلما حوّل الماءُ مجراه، دخلتُ إلى روحِ خمرةِ الآس حيث
يختبئ العشاق المهجورون. ومرة أخرى سمعتُ
حفيفَ حريرها يَميسُ على صدري المليء
بالشَّعر وهي تلهث.
والصوتَ، "ياكنزي" تلك الليلة في الحفرة حيث
رُفِعتْ آخرُ مرساةٍ للنجوم، حيث كان البلبل يرمقني
بانتباه ليحاكيني.

ما كان ألماً مبرِّحاً في الحقيقة، وما كان مثيراً للسخرية
أنني أحتمل مالاضرورةَ له، بقليل مما نَذَرْتُه في
كلتا عينيّ، بأصابعي تحت العفن، لابد أن السنين
كانت هكذا– آه أجل– حينما كنتُ أعمل لأمنحَ
اللازوردَ اللانهائيَّ صفاءً أكثر!

لقد تكلمتُ. وأنا أدير وجهي، واجهتُها مرة أخرى
وهي تحدِّق فيَّ في الضوء. القسوة.

وهذه كانت البراءة.
جميلةً مستغرقةً في الحلم تحت ظل السنين، تحت عمود
الشمس، تماثيلُ كوريه إيوثيديكوس الطافحةُ بالدموع
حينما رأتْني أتحوَّل وسْط هذا العالم مرة أخرى، بلا
آلهة، مثقلاً بعبء ما انْتَزَعْتُه في الحياة من الموت.

في لمحةٍ واحدة لملم ظلُّ العصفور حصادَه من النظر
إلى ما تَلَهَّفَ عليه: الظهيرة.

نُوحُ الآخر

ألملم الآفاق في المغسلة، وبيد بطيئةٍ ولكن مقتدرة،
بدأتُ في طلاء جدران مستقبلي الأربعة بالبياض.

إنه الوقت الآن، قلتُ، ليبدأ الشبقُ عملَه المقدَّس،
ولتحفَظَ في صومعةٍ من الضوء تلك اللحظة الرائعة
في أمان

حينما بدَّدَت الريحُ مُزْقةً من الغيم فوق
أبعد الأشجار على الأرض.

هذه الأشياء التي ناضلتُ وحدي كي أجدها، والتي
يجب عليّ أن أحافظ على حملها وسط كل الخيانات،
سوف تأتي- من حمص الكافور القويّ لهيجان امرأة-
لتُستنقذ في سفينة تقْواي.

ومن الجداول، أبعدُها وأخفاها ؛ ومن الطيور
الطائرُ الوحيدُ الذي تركني، العصفورُ، ومن معجم
المرارة كلمتان، ربما ثلاثُ كلمات:
الخبز، الاشتياق، الحب...

(أيتها الأزمنةُ التي مسحتْ قوسَ قزح، وانتزعتْ من
منقار العصفور الفُتاتَ، ولم تترك أهونَ
غمغماتِ الماء الصافي لتعلن عن حبي فوق العشب،
إنني، أنا من تحمَّل الحرمانَ من الضوء بلا بكاء، أيتها
الأزمنة، لن أغْفِرَ)

وحينما يلتهم الواحدُ أحشاءَ الآخر، ويتناقص البشر
من جيل إلى جيل
ينتشر الشرُّ وينفجر عنفوانه في قلب اليورانيوم المدمرِّ،
حينئذ ستُدَوِّمُ خلايا عزلتي البيضاء، فوق
صدأ العالم المخرَّب، وتذهب لتبرِّرَ نصيبي
الضئيل من الحكمة

وفي نوبة أخرى مشابهة، سوف أفتح الآفاق البعيدة التي
ربما تتقاطر منها الكلماتُ المرَّةُ واحدةً واحدةً
بصريفها على شفاه الماء،
فاضحةً مفهومي القديم لليأس

ذلك الذي يشبه مَضْغَ ورقِ كافورةٍ سماويَّة،
اليوم المقدس للنشوة الحسية
قد يفوح بعطره،

تلك السيدة، واهبةُ العافية، ربما تنزل إلى نهر الزمن عاريةً،
ولعلها وهي تفتح أصابعها بأناةٍ ملكية، ستطلق
الطائرة مرة وإلى الأبد
فوق سعي الإنسان الباطل، حيث وَصَمَه الربُّ بالإثم
لتهوي قطرةً قطرة
ارتعاشاتُ الفردوس.

سبعةُ أيامٍ للأبدية

الأحد: الصباح في معبد "حامل العجل" أقول:
لعل جديلة النبات العطرية تكون حقيقية

كشجرة، ولعل خروفها، وهو ينظر إلى عينيْ
قاتلي للحظة، يُنْزِلُ أشدَّ العقاب بالمستقبل المرير.

الاثنين: حضورُ العشب والماء تحت قدميَّ، الذي يعني
أنني موجود. قبل أو بعد النظرة التي ستحوِّلني إلى حجر،
ترفع يدي اليمنى عوداً هائلاً من لازَوَرْد القمح
لعلّي أؤسِّسُ دائرةَ البروج الجديدة.

الثلاثاء: الخروجُ من الأرقام. معركة الواحد والتسعة على
شاطئ معزول تماما، مبذورٍ بالحصى الأسود،
أكوام من طحالب البحر، هياكل عظمية مهولة للوحوش
على الصخور.
حصاناي العجوزان الحبيبان، يصهلان ويْشرَئبّان
فوق الأبخرة التي تصعد من كبريت البحر

الأربعاء: من الجهة الأخرى لصاعقة البرق، اليدُ
الكادحة التي سوف تبزغ من جديد
لتسوّي تجاعيدَ العالم.

الخميس: بوابة مفتوحة: سلالم حجرية، قمم زهر الجيرانيوم،
وبعيدا في السقوف الشفافة، طائراتٌ ورقية، شظايا
من الحصباء في الشمس. تَيْسٌ يتأمل الأحقاب بأناة،
ودخان يتصاعد بسكينة بين قرنيه.
في نفس اللحظة تتلقّى ابنة الجنايني في السر قُبْلَةً
في الفناء الخلفي، تسقط زهرية وتتناثر شظايا من
شدة الفرح.
آه! لو أنني أستطيع فحسب أن أحتفظ بذلك الصوت!

الجمعة: "تجلّي" النساء اللائي أحببتهن بلا أمل.
أصيحُ: ما- ري- نااا! إي- ل ي- ني ي ي!
كل دقة ناقوس هي عطرُ الليلك في ذراعي. حينئذ
ضوءٌ غريبٌ وحمامتان مختلفتان ترفعانني عالياً
إلى بيت كبير مزيَّنٍ باللّبْلاب.

السبت: أشجار السرو من سلالتي، اجتُثّتْ بواسطة
رجال غلاظ صامتين: من أجل عرس أو موت.
يحفرون الأرض المحيطة، ويرشونها بماء أحمر
ولكنني نطقت في التوِّ بالكلمات التي تمغنط الأبد!

فيلّلا ناتاشا

-١-

لديَّ شيءٌ ما أقوله، شفّافٌ ومبهم
مثل الإنشاد في زمن الحرب.

هنا حيث أقبع جالساً في ركن
لأدخّن أول سجائري الحرة،
مرتبكا من البهجة، مرتعدا
خشية أن أحطم زهرةً أو أُفزِع طائرا
والرب يجد في نفسه حرجاً بسببي.
وكل الأشياء تكاد تُسْلِمُ قيادَها لي،
الأدغال المنتصبة وبرج الجرس المشْرَع
وسماء الحديقة المقبّبة كلها
ترسل انعكاساتها في عقلي،
الأسماء التي ترنُّ واحدا واحدا
في غرابة اللغة الأجنبية: فلوكس، استير، سيتس
إغلانتين، بيرفنسن، كلوشيك،
أليس، فريزيا، بيفوان، ميوبورون،
موغيه، بلويه
ساكسيفراج
إيريس، كلوشيت، ميوزوتي
بريمفير، أوبيه بان، توبيريز
باكريت، أنكولي، وكل الأشباه
مكتوبة بوضوح في الفاكهة: الدائرة، والمربع،
المثلث، والمعيّن.
وطريقة الطيور في رؤية (هذه الأشكال)، فعلى العالم
أن يصبح بسيطا،

واحدة من لوحات بيكاسو
بها امرأة وطفل وقنطور.

إنني أقول: وهذا سوف يأتي. وغيره سوف يمضي
العالم لا يُعْوِزُه الكثير. شيء ما
دقيق: يشبه الانحراف المفاجئ للعجلة قبل حادثة ما
ولكن
بالضبط
في
الاتجاه المضاد.
لقد ألّهنا الخطرَ بما يكفي، وهذا وقتُ
حسابِه لنا.
أحلم بثورة بريئة من الشر والحروب مثل تلك التي
حدثت مرة في توزيع الظل والنور ودرجات اللون
على يديْ ماتيس

-٢-

ولكن حينما يتكلم صديقان
أو يُخْلِدان للصمت- وقتها فحسب-
لا وجودَ لإمكانية ثالثة.
ويبدو كذلك، مثل الأصدقاء،
تتواصل البحار أيضا في البعيد.
قليلٌ من الهواء يكفي، قطعةٌ داكنة من أفرع الصفصاف
تتلوّى بين أطراف الأصابع، فانظرْ:

الموجة؟ أهذه هي؟
أهذه هي التي تحدِّثك بضمير المفرد قائلة:
"لاتنسني، لاتنسني" هل هي "أناكْتوريْا"؟
أم عساها لا تكون هي؟ أم لعلها المياه التي تتدفق
ليل نهار في كنيسة القديس "باراسْكيفي" الصغيرة
لتنسى أي شيء،
أي شيء تنساه؟ ومن؟؟ نحن لا نعرف شيئا.
وحالما خُدشَ أيُّ شأن من شئونك هذا المساء،
صداقةٌ قديمة، ذكرى إناء البورسلين اللامع
فإنك ترى الآن والنهارُ يطلع مرة أخرى،
كيف لم تكن عادلاً في حكمك.
فَمُكَ مرٌّ قبل أن تتناول قهوتك
تومئ بلا غاية وأنت تشكّل صدى ما
من حياة أخرى- من يدري؟- وهو من هذه الحياة
(أو، ربما كان من فكرة
في أزمنة من الشدة بحيث يتجسّد.)
فالمرآة المواجهة لك تنشرخ فجأة من أعلاها إلى أدناها.

إنني أقول: في لحظة واحدة، لحظه وحيدة،
لا تُدْرَكُ حين تأتي
لحظةَ يبطش القدر،
وذلك الذي يعطي، يأخذ.

لأنه إن لم يكن ذلك، فإن الموت حينئذ
سوف يناله الموتُ أيضاً، والفسادَ
يفسد وبلورةَ الصخر الورديةَ التي
أمسكتَ بها ذاتَ مرةٍ في راحة يدك

لابدَّ، في مكان ما، بعد ألوف الأعوام، من أن تتشكَّلَ من جديد.

بالحكمة والشجاعة. بيكاسو ولورنز. الجميع. دعنا
ندوس على السيكولوجيا، على علوم السياسة، على علم الاجتماع،
لوَّحَتْني الشمس وأنا أرتدي قميصاً واسعاً أبيض.

-٣-

أيها الإنسان،
شرٌّ بلا رغبةٍ في أن يقع-
لعلك، لالشيء سوى انحرافٍ هيِّن، قد بلغت مصيراً مختلفاً.
لو أنك عرفتَ فحسب كيف تنْهجَ النهج القويم
حتى إزاء وردةٍ
لغدا كلُّ شيء مِلْك يمينك. لأنه في أزمنه متعددة،
أو ربما في زمن واحد فحسب- هكذا هو الحب-
نعرف البقيّة. ولكنّ حشدَ الجماهير، انظرْ:
يقف على حافّة الأشياء
يريد كلَّ شيءٍ ويأخذُه ولا يستطيع الاحتفاظ بشيء.

لقد حان ما بعد الظهيرة
صافيا كصفائه في "ميتليني" أو كصفائه في لوحة
من رسم "ثيوفيلوس" بينما تمتد "إيز" و "كاب - استل" بعيداً،
والخلجان حيث يفتح الهواء أحضانه
صفاءُ كهذا
حتى أنك تستطيع أن تلمسَ الجبالَ وتستمر في رؤية

ذلك الإنسان

الذي مرَّ منذ ساعات
بلا اختلاف، مع أنه قد بلغ الآن غايته.

إنني أقول: أجل، لابد أن ذلك قد وجب،
الوصولُ إلى نهاية الحرب وسقوطُ الطاغية
والخوفُ من الحب أمام امرأة عارية.
لقد وجب كل ذلك، وجب كل ذلك ونحن فحسب الذين
لا يستطيعون أن يَرَوْا،
ولكننا نسقط في الأوهام، إذ نبحث دائما عن موطئ قدم.

الملاك، محوّماً في طيرانه هنا وهناك،
غيرَ مرئيٍّ وحزيناً أشدَّ الحزن، يأخذني بيده.
تَخَاتَلَ الرجالُ بأشْراكِهِم
ويلزمُني أن أبقى بين من هم في الخارج.
لأنني أشعر بأنه حتى اللامرئيّ يكون حاضراً،
الوحيدُ الذي أدعوه الأمير، حينما رسا البيت
على شاطئ الغروب بسلام
يشعُّ بوَمَضَاتٍ مجهولة،
ويبتعث فكرةً، كأنما هي هجومٌ
ينقضُّ علينا بلا توقُّعٍ ونحن نمضي هنا أو هناك.

موتُ وانبعاثُ
كونستانتين باليولوغوس

-١-

حينما وقفَ هناك منتصباً أمام البوابة وشامخاً
في حزنه
بعيداً عن العالم   حيث التمستْ روحُه أن تقيم الفردوسَ
على معياره   وأشدَّ صلابة حتى من الحجر   لأنه لا أحد
قد نظر إليه برقة أبداً- وقتما كانت أسنانُه المعقوفةُ
قد ابيضَّتْ بشكل غريب

وعندما كان يرنو بنظرته المحدِّقةِ وراء الجنس البشري
بمسافة ضئيلة   استخْلص من بينهم جميعاً واحداً هو
الذي ابتسم له   الواحَد الحقيقيَّ الذي لم يستطع الموتُ
أن يطويه
انتبه لينطق بكلمة "بحر" بوضوح حتى تلتمع كل الدلافين
التي فيه والوحدةُ هائلةٌ إلى حدٍّ أنها قد تشمل الرب تماماً
وكلُّ قطرةِ ماء تمرق بثباتٍ إلى الشمس.

حين كان شاباً شاهد الذهبَ يلمع على
أكتاف العظماء   وفي إحدى الليالي يتذكر   خلال
عاصفةٍ هوجاءَ بوغازَ البحر وقد جاشَ حتى صار معْتماً
ولكنه لم يُردِ الاستسلام لها

إن العالم مكانٌ خانقٌ للحياة فيه   مع أنه جديرٌ بها
مع قليل من الكبرياء

-٢-

ماذا الآن أيها الربُّ العزيز   من الذي يجب عليه أن يقاتل
مع الألوف وليس وحده منفرداً   من؟ هو الذي
عرف بكلمةٍ واحدة كيف يَنْقَعُ غُلّةَ عوالِمه الداخلية   ماذا؟

من بين الذين استولوا على كل شيء له   وصندله ذي
الأربطة المتشابكة ورمحه ذي الشُّعب الثلاث   والجدار الذي
تسلقه كل ظهيرة كأي عنيد   قاذفاً بزورق   ليُحكِمَ
القيادَ في مواجهة الأنواء
وملءَ اليدِ باقةٌ من الزهر الملون   التي داعب بها خَدَّ فتاةٍ
في منتصفَ الليل   ليقبِّلها   (كيف تدافعتْ مياه القمر
على درجات الحجر إل أقصى ارتفاع فوق البحر..)
ظهيرةٌ تنسلخ من الليل   وما من أحدٍ بجانبه   إلا كلماتُه
المخلصةُ وحدَها   التي تمزج كل ألوانها كي تترك في يده
رمحاً من الضوء الأبيض

وفي مواجهته   على كلِّ امتدادِ الجدار   حَشْدٌ من الرؤوس
يَنْصَبُّ في لزوجةٍ إلى أقصى ما تستطيع عيناه أن تريا
"ظهيرةٌ تنسلخ من الليل- الحياةُ كلها إشعاع"   صاح واندفع
بين الجموع   تاركاً خلفه خطاً ذهبياً بلا نهايه

وفجأة أحس   بالوهن التام يتغشّاه   كأنه
يستعجله من بعيد.

-٣-

الآن. وقد دارت عجلةُ الشمس أسرعَ فأسرع   انطمرتْ
قاعاتُ القصر بالشتاء   ومرةً أخرى انبثقت حمراءَ
بأزهار الجيرانيوم
والقباب الصغيرة الباردة   كالميدُوزَاتِ الزرقاء تسامقَتْ
إلى أعلى في كل مرةٍ حتى نسيجِ الفضةِ الذي سبكتْه الريح
بنعومة مثل لوحة الرسام   لأزمنة أخرى أبعد

راهباتُ العذراء   تَلْمَعُ صدورُهن في فجر صيفيّ   جَلَبْن له
جريداً من نخل غَضٍّ السعف   وهذه الباقاتِ المقطوفةَ
من أعماق البحر

تَقْطُرُ باليود   بينما هو سَمِعَ تحت غمرة بطولته   حيازيمَ
السفن السوداء   تمخُر عبابَ الدوَّامة الهائلة   في القارب القديم
الملطّخ بالدخان الذي ما يزال ينتصب فيه محدِّقاً بنظرةٍ آسرة
وقفتْ أمهاتُ الرب محرِّضات

انقلبت الخيول على الركام الصامت   أكوامٌ من الأبنية الكبيرة
والصغيرة   أطلالُ خرائبَ وغبارٌ مشتعل في الريح

وهو هناك يستلقي منبطحاً   بين أسنانه دائماً كلمةٌ
لا تنكسر
هو ذاته
آخرُ الهيلّلينيين!

شجرةُ النور
والجمالُ الرابعُ عشر

أَحَدُ السعف

لابد أنها سماءُ أحد السعف فحتى الطيور هبطتْ
بالبراعم الخُضْر في مناقيرهاوفي نومي
صمتتْ فتاةٌ بلا سبب تاركةً بلوزَتها محلولَة الأزرار

زجاج في الضوء يظهر خلالَه قِرْميدُ المطبخ بأقصى ما تستطيع
عيناي أن تريا شبحٌ ذو براقعَ هفْهافةٍ ضِعْفَ ارتفاعِ البيت
وأصابعُه على مقبض بابٍ غيرِ مرئيّ

فَلْتَخفُقْ أيها الهواءُ المشعُّ فلتخفق أيها الهواء المشع بلا توقف
إذْ بعد ما يُصبح شخصٌ ما ذا قداسةٍ فحتى الأشياءُ الجديدة
تبدو قديمةً

والأطفال من قارب الحجر يعودون بسراطين البحر والنساءُ يرجعن من
معاصر الزيتون ونهيق الحمار لحظةَ انبلاج الفجر
فوق حدائق الخضروات لسنوات عديدة وقرون عديدة

"قديمٌ قِدمَ التلال" اعتادتْ أمي أن تقول ويدُها الملتهبةُ
المِفْصَلِ تيبسَّت كورقة البيغونْيا
لا بأس حتى الذكرياتُ تلاحق الأشياءَ علّها تقْتَنِصُها في
اللحظة المناسبة حينما تتحوَّل الأشياءُ القديمةُ بدورها
وتبدو جديدةً أيضاً

سيبقى هذا اليوم أسطورياً لمن سيجيئون مع الأيام حينما
لايفكر أحدٌ في التذمُّرِ بل في مسافة شاسعة من
أوراق الليمون الملساء المتوهِّجة شموسٌ صغيرةٌ من الأثير.

الفتاة التي جلبتهْا ريحُ الشمال

لمسافة بعيدةٍ عبرَ أريج النعناع كنتُ أفكّر مليّاً
أيّانَ أذهب   وقلت بما أنني لا يجب أن أكون تحت رحمة
الوحشيّة   فسوف أجد كنيسةً صغيرةً أتحدث إليها

الْتهمَ هديرُ البحر الظلمةَ من داخلي كالعنزة   ثم
تركني متفتّحاً   مما أغراني أكثرَ فأكثر بسعادةِ البْوح الغامرة
ولكن لم يكن هناك شيء   لا أحد
ليس إلا هواجسٌ أشجارِ الزيتون البرّيّ التي
أصبحتْ متوهجةً من حولي

وكلُّ منْحَدرِ الجبل   بامتداد الْتواء البحر   وعالياً
من فوق رأسي   تحدث هامساً بنبوءاته   مع عشرات
الألوف من الحشرات البنفسجية الزاهية كالملائكة   أجل أجل

كنت على يقين   بأن هذه البحار ستثأر   ستثأر هذه البحار
في يومٍ ما.

وحينئذ   هناك تماماً   تفرُّ من مهجعها المهَّدمِ   وتبلغ
الذروةَ   في أبهى جمالها   بكل نزق الطيورِ في
حركاتها   الفتاةُ التي جلبتها ريحُ الشمال   قد
ظهرتْ   وأنا انتظرتُ

وعندما تقدَّمتْ إلى الأمام بضْعَ خطوات   متكئةً بنهديْها
الكاعبين على الريح كي تتجلّدَ   تصاعد من داخلي فرحٌ مرتعب
حتى جَفْنَيَّ وترقرق فيهما

آه من عنفوان الغضب والجنون في وطني!
الأفلاكُ المتضرِّمةُ من ورائها تتفجَّر وتترك في السماء شيئاً
ما يشبه الإشاراتِ الروّاغةَ من الفردوس.

صادف أن أرى لوهلةٍ المسافةَ بين ساقيْها تنْفَرِجُ
واستوْعَبَتْ المكانَ كله حتى القليلَ من رشاش
البحر ثم بلغني أريجُها بعد ذلك كأنه الخبزُ الطازج
وُنكهةُ العرْقسوس البَرّيِّ في الجبل

دفعتُ البابَ الخشبيَّ الصغير وأشعلتُ شمعةً لأن
واحدةً من أفكاري قد أصبحتْ فكرةً خالدة.

دِيلُوس

(كما يحدث في الغطْسِ، عليه أن يفتح عينيه تحت الماء ليضع
جِلْدَه في مساسٍ مع بياض الذاكرة الذي لاحقه.
"من فقرة عند أفلاطون")
هكذا بحركة مشابهة مَرَقَ مباشرةً إلى
الشمس وسمع حنجرةً حجرِّيةً تدوّي وصوتَ نفْسِه
البريئةِ يَهْدرُ عالياً فوق الأمواج
وإلى أن طفا فوق السطح ثانيةً تركتْ له البرودةُ ما يكفي
من الوقت ليطرح من أحشائه شيئاً لا شفاءَ منه فوق
طحلب البحر والأشياءِ الجميلةِ الأخرى تحت الماء

على درب كهذا ربما يتوقّدُ بامتداده خلالَ صيحته

"أنا أحب" مثلما
يتوقّد الضوء السماويُّ في بكاء الطفل الوليد

وهذا ما كان يُغمغم به البحرُ كأسطورة.

الحقيقةُ ثلاثَ مراتٍ

(١)

ينقّر الطائر البريُّ بحثاً عن الحقيقة المتَفَلّتَةِ من صخرةٍ لأخرى
واستمر يحسو الماءَ المالح بين الشقوق شيء ما شيء
ما شيء آخر لابد من وجوده بلا ريب
بعزيمتي الراسخة كنتُ منهاراً على المِقْوَدِ في انتظار أطلقتُ
لحيةَ الراهب أرسلتُها مُشَعَّثَةً شيء ما
شيء ما شيء آخر لابد من العثور عليه

شَحذْتُ عقلي مرةً كما يُرْسي المرءُ قارباً على الشاطئ تَشَبَّثْتُ
بالإنسان وأوقفتُه حتى أنظرَ في أعماقه

- ياه.. من هذا؟- القائلُ الذي عَبَرَ- ولِمَ الصخبُ هكذا؟-
الصقرُ الصقرُ الموعودُ هو الصقرُ الذي جاء- حسنٌ جداً
ومن المسئول هنا؟- لا أحد لا أحد- لمْ
أسمعْ من الذي قال هذا؟

وما كادت الكلماتُ تتلاشى ما يمكن الآن أن يقوله المرء
هكذا تكون الحقيقة

(٢)

هكذا تكون الحقيقة   حينما تُفْصِحُ الكلمات   عما يمكن أن يقوله المرء
بدا البحرُ كأنه مزرعةٌ عتيقةٌ مسوَّرةٌ بأشجار السرو

حينما جلستْ في المياه الضحلة تُمَشِّط شَعْرَها   امرأةٌ حجريَّةٌ
ظلتْ متحجرةً هناك بيدها المرفوعة عالياً في الهواء   وبعيداً
فوق سفينتين كانتا تبحران ملفَّتين بالدخان   ولكنهما
لا تتقدَّمان
وفي كل مكان كانت تنبثق من الينابيع وأشجارِ البان وردةُ أبينا
كأنها الاعتراف   ظلتْ تعلو قبل أن تَنْفَرِطَ قطراتٍ من الندى

"أبانا الذي في السماء"   أنا هو من أحبَّ   أنا هو من
احتفظ بفتاته كأنها النُّذْر   من استطاع أن يُمسك حتى
بالشمس من جناحيها كالفراشة   يا أبانا

لقد حَيِيتُ على العدم.

(٣)

لقد حَيِيتُ على العدم   لم تستطع الكلمات وحدها أن ترضيني
ومثل ريح تهبُّ   وأذناي لا تستبينان صوتاً بلا كلام
فْهيبا فْهيبو فهيبو   خَمَّنْتُ ألفَ شيء   ملء اليدين حصى الشواطئ
ملء السلال من عسل النحل الطازج وجرار الماء المنْبعجة حيث
رفيفُ الريح الحبيسة يمكن سَماعُه وهي تُرْعِد.

شيء ما   شيء ما   شيء ما شيطانيٌّ   ولكن يمكن
اصطيادُه في هيئة رئيس الملائكة بالشبكة

تلعثمتُ وجريتُ   وصلتُ ومن خارج اللغة ختمتْ الأمواج
على سمعي

آه أيتها الصخور الصغيرةُ السوداءُ الناتئة   صِحتُ   وأنتِ
أيتها الأشجار السماوية
ماذا تعرفين عني- آذْووي- آذيزي ي- هه؟ ماذا؟
أريبو- أذهيزيه- أذهيسيه- إنني لم أسمعْ ماذا قلت؟
- أديس أديس أديز
حتى شعرتُ في النهاية ودعْهم يسمونني مجنوناً أنه
من اللاشيء
يُولدُ فردوْسنا.

عن الجمهورية

بأحجار أربعة وقليل من ماء البحر   بنيتُ معبداً   وجلستُ
بجواره لأحرسَه
خَيمَّت الظهيرةُ   وما ندعوه فكراً   كان ينتفض في قنبلةٍ عنقوديةٍ سوداءَ
على وشْك الانفجار
لابد أن شيئاً ما يحدث في السماوات يمكن أن يلتقطه الجسدُ
كأنه حلمٌ مبلّلٌ
"بطيئاً   في القاعة التي اتسعتْ بفعل رنينها   الرجل الملتحي
بلغ القفص وفتح البوابة الصغيرة   هكذا قرونٌ عديدةٌ
من النضال من أجل حركةٍ يسيرةٍ تماثل حركةَ مفتاحِ تحويلِ القطارِ
التي اشتهاها الجميعُ ولم يحرزْ عليها أحد

"تمايَلَت الستائرُ   ووافى صوتُ الطائرِ قبل
صورتهِ   وهو يتمسَّحُ بالسقف

"لقد التمع حول التماثيل وحَوَّمَ بلا حركة فوق
أعمدة البهو للحظةٍ كأنه دائخ   حتى أمالت الأشجارُ أعوادَها
نحو النافذة الشمالية وأنتَ رأيتَ الشعاع يترنح هنا
وهناك حتى

"انظرْ إليها   المرأة العارية   ذاتُ ضبابٍ أخضر على شعرها
وإزارٍ من الأسلاك الذهبية   جاءتْ وجلستْ بلطفٍ على القرميد
بفخذَيْها نصف المنْفَرِجَيْن

"وهذا تحولَ في شعوري إلى معنى الوردة
حين يداهمها الخطر فتتفتحَّ عن رِقّتها البكر   وبعد ذلك
تماماً مثلما

"في سفر الرؤيا   تمر الأحصنةُ الأربعة في صفٍّ:
الأسودُ   الفضيُّ   المذنَّبُ   والمأخوذُ بالحلم بلا سرْجٍ
أو فارسٍ   تريدُ أن تومِيءَ إلى أن بهاءَها قد ولّى

"وأن الجماهير السائرةَ وراءها   في زحفٍ
عامٍّ   في طريقها ليبتلعها جحيمُ الفردوس   كما
هو مقدَّرٌ لها

"والرجل الذي يُواجه المرأةَ مزَّق ملابسَه   وتقدم حيوانهُ
الرشيقُ إلى الأمام لحياةٍ في أرض الغابة والشموس"

شَمَمْتُ في الهواء رائحةَ شجرةِ التين   حين بلغتْني الرائحةُ
كانت ما تزال طازجةً من تلوينات البحر

وعندما انزلقتُ فوقها بلطف   حتى   استيقظتُ بلطف
وشعرتُ بلبنها اللّزج
بين فخذيّ

ظللتُ أكتب باحتدام "عن الجمهورية" وسط الأسف
العميق للازورد اللانهائيّ
وبين الأوراق الشفّافة الهائلة   ظهرت الجزرُ
للحظةٍ   وأعلى منها في الأثير   ظلّت الطيورُ تعلو في
مساراتها المختلفة قليلا قليلا   بعيدا بُعْدَ الأبدية.

بحرٌ صغيرٌ أخضر

أيها البحر الصغير الأخضر ذو الثلاثة عشر عاما
أتمنى أن أُعِدَّكَ
وأرسلَكَ إلى المدرسة في أيونْيا
لتتعلم أحوالَ اليوسفيِّ ودودةِ الخشب
أيها البحر الصغير الأخضر ذو الثلاثة عشر عاما
فوق برج الفنار عند انحدار الظهيرة
لتتحول الشمس ولتسمع كيف أن المصير لم يكتمل وكيف
أن الأقرباء البعيدين مازالوا يُلَوِّحون لبعضهم البعض
من تلٍّ إلى تل
يشبهون التماثيل الشّاخصةَ في الهواء

أيها البحر الصغير الأخضر ذو الثلاثة عشر عاما
ادخلْ سميرْنا "أزمير" من شباكي
بياقتك البيضاء وشريطك
لتنسخ لي تأملاتٍ على السقف
عن الرب الرحيم له المجد
وبنسمةٍ شمالية وأخرى شرقية واهنةٍ
ارجعْ موجةً بعد موجة
أيها البحر الصغير الأخضر ذو الثلاثة عشر عاما
لعلّي أنام معك في السر
وأجد في عمق أحضانك
الأحجار المهشمة: كلمات الله
الأحجارَ المهشمة: شذراتٍ من هيراقليطس

الجدارية

بوقوعي في العشق وحياتي لقرونٍ في البحر تعلمتُ
القراءةَ والكتابة
حتى الآن لمسافة بعيدة من ورائي أستطيع أن أرى
جيلاً بعد آخر والطريقَ الذي يبدأ منه جبل
قبل أن ينتهي آخر وأمامي الشيءُ ذاتهُ ثانيةً:

الخابية الزرقاءُ المعتمة وهيلين بذراعيْها البضَّتين
ترسمان
صاعدتين من حمَّامها
وهي تصبُّ النبيذَ لمريم العذراء وقد اختفى نصفُ جسدِها

تماماً في مواجهة آسيا

وجميع الزخارف قد انداحتْ في السماء مع الطيور
المشتّتة الزهرة الصفراء الصغيرة والشموس.

الأوديسة

البيت وسط حدائقه يترجْرج في الخضمّ ومن نوافذه
الواسعة كان بوسعك أن ترى الجبال المقابلة
تهوي وتعلو بين وقت وآخر

في أعلى السلم وقد ألقى على كتفيه سترةَ ملاح
كان أبي يبدأ الصياح ونحن جميعا قد تناثرنا يمينا
وشمالاً واحدٌ لُيْحِكمَ رباطَ عارضةٍ وآخر ليلملم مظلاّت
النوافذ
بسرعة قبل أن تداهمنا مفاجأةُ ريحٍ غربية فتطيح بنا

مهما يكن ما نلقى في مكاننا من العالم فإننا على الدوام نواصل
ارتحالاتنا
بصلابة في مهب الريح
ولكن بحذر مادمنا قد عرفنا منذئذ أن المشقة المريرة
موجودةٌ دائما وأن أرض اليونان لم توجدْ أبدا

املأْ وانطلقْ

نفخت الريحُ الأشرعةَ الوسطى   دمدمت الأمواج الأرجوانيةُ عاليا
حول متنِ السفينة وقد مضت مسرعةً

ورسونا على أرض "آكلي اللوتس" وقد بزغ
نصف القمر
تظهر الجزر الصخرية المعتمة من المياه
مرة قبل أن تصبح "أيُولْيا" أرضاً يتجوَّل فيها الرجالُ في نومهم
حسبما يدفعُهم النَّوْءُ

ومثلما يقولون   مرتين في العام   في الاعتدالين   أطفالٌ
بيضٌ صغارٌ خفيفو الوزن   انْهالوا بلا إنقطاعٍ مثل نديف الثلج
الهش   وعند أول لمسة   ذابوا وتركوا بعضَ الندى

أتذكر ميناءً خارجَ الممر المطروق   حيث لم يكن من السهل
أن ترْسُو   وحيث كان السكان يتوهَّجون في الليل كيراعاتِ
النار المتطايرة

المجد لله   طوَّفْنا في كل مكان   نُفْرغُ أحمالَنا من الزيت والخمر
مستبدلين بها أطناناً من الزهر   تلك التي يسميها أهل البلاد
بلغتهم وروداً   وزجاجاتٍ صغيرةً من خلاصة
الياسمين النادر أو حتى النساء

فتاةُ أصابتْها فجأةً   نظرةُ كبير الملائكة   تلك التي
اتخذتُها أمَةً لي   وحتى اليوم وأنا أكتب فحسب   وقفتْ
إلى جواري

أحول الدفة إلى الميمنة

في المكان ذاته   ولو أنه أهدأ   إلا أنه كان على
الشواطئ أن تظهر ببطء

"خيِّل إليكَ أنك مطمئنٌ   ولكن الآخرين الذين اندفعوا للأمام
هم من جعلوكَ تبدو بلا حَراك" كان أبي سيقول
حتى يعيد أفكاري إلى النهج القويم
وسوف أثبّت كلماتِه واحدةً واحدةً مع الفراشات
في دفتري

معاً   مع كلمات أخرى انتزعتْها الريحُ من سلة الرجل الحكيم
أو من شفاه الغجر (لأنها عاشت سنوات مثل
طائر الصيد وجلبت الحكمة من أعالي الجبال)

كلماتٌ عديدةٌ بلا ترابط كما لو كانت بعضاً من قصيدةٍ ممزَّقة
على سبيل المثال "الماء القُمْرِيَّةُ حَطَّمَ وجَرْحي أصبح
جميلاً" أو "لاتدعْني أملك شيئاً آخر إلا إياك"

وواصلت الريحُ كلَّ مابدأتُ التفكير فيه   وغالباً سوف
تنتزعه مني السفن المبحرة   بأكوام البطيخ والفاكهة الأخرى
في الغرفة العليا ذاتِ المزاغِلِ المستديرة

يوما بعد يوم تقرأ الغَجَرِيَّةُ فنجان القهوة
ويوما يعد يوم انحنى الحكماءُ السبعةُ في العالم المضطرب
فوق الخرائط القديمة والأسطرلابات: طاليس الميليتي
ابن المنصور   سيميون عالم الإلهيات الصغير   باراسيلوس
هاردنبرغ   جورج السمّاك   وأندريه بريتون
صعبٌ أن تواجه الريح

هناك آلاف الطرق   أمّا أن تدخل من ثَمَّ في
المستقبل   فالسذاجةُ هي المطلوبة
سوف تحتاج إلى أن تعرف مريم الكبرى ومريم الصغرى
التي تضع رمّانةً في السرير فيكون مايو دائماً حتى الصباح

في مكان ما لابد أن يكون الشرق الأدنى الخاصُّ بي   لأن

• كلا من وردة أصفهان وشهرزاد الشهيرة   ذات الشعر
الذهبيِّ على جانب والشَّعْرِ الفضيِّ على الجانب الآخر   التي
اختلستُ النظر إليها ذات مرة من ثقب المفتاح
في الغرفة الضيقة الممتدة التي يرجْرجها البحر   مرةً هنا ومرةً هناك
بينما أحاول الحفاظ على توازنها

بشغف جارف لأعرف   كيف تغدو القدمُ أكبر   هناك   حيث
تبدأ في الافتراق عن القدم الأخرى   والوميض على الركبة
أو لو كنت محظوظا   فإن نظرةً خاطفةً إلى قنفذ البحر
للحظةِ   في أعماق البحر   غيرِ المكتشَفَةِ

يدق قلبي بعنف   امتلأ فمي وفاض بماء النعناع
إنسان على طريق الله أياماً قليلة من بعدُ   أنا أيضاً سأمتلك فكرة حينئذ

فلتَسْمُ إلى السماء
حتى تجعل الأغلبية تفهم أن القوة وحدها تقتل
وأن أعظم الأشياء أهميةً:

أن الربيع   حتى الربيع   من خَلْقِ الإنسان
أَلْقِ مرْساتَكَ

غُصْتُ في أعماقي لأسمع
وعَرَاني   دفءٌ كأنه دفءُ كائن لحظةَ الحب   الدفءُ الذي
لا يعرفه حتى الياسمينُ العربيّ   الذي كان يتبرعم
أبيض كأنني قد أحبَبْت

في الأغصان المتشابكة والأوراق المزدوجة التي تزكم
أنفك بالرطوبة المتعفّنة   رائحةُ نباتٍ مُنْتِنٍ
وعَطَنُ الأشجار   فجأة انداح المشهدُ الآخر
في عالم بنفسجي   فتياتٌ سيداتٌ   البنفسجُ
والنباتاتُ التي تشبه سيوفَ عثمان وعرش "نيكيفوروس"

حيث استغرقتْ كبرياؤه أربع ساعاتٍ فحسب لينفتح على المياه
التي تتلوى بها حَيّةُ الماءِ هنا وهناك

أو   لو كان من الممكن تَنسُّمُ المطر في الهواء   لدامت ملاحظته
أثناء توقفها لثلاثة أو أربعة أيام   إلى أن بدأ الصوت
يهوي والبذورُ
زرقاء وحمراء بالآلاف   أصابها الرعب   وارتعدتْ

ولكن صوت البستانيِّ أشاع الأمان   وحينئذ ألقى
البستانُ المرساة.

نموذجُ أصليّ

حينما انفجرتْ حبّاتُ البارود   جلبتْ لي الجزيرةَ

مرة أخرى وشاطئاً معينا

حيث رأيت المرأة كما يبدو لأول مرة   ومما يعني أن أرى
أشجار الورد الزاهية في منتصف الليل   فهمت كل هذا فيما بعد

حينما وجدتها في هيئة حمامة

حينما وجدتها نائمة   وعلى صدرها عناقيدُ الندى
حينما وجدتها على سِيف البحر   مجدولةَ الشعر بريحٍ عفيّة
حتى بقي منها أخيرا كتفٌ وخصلةٌ من شعرها
على يمينها
فوق الخرائبِ ونجمةِ المساء الأولى.

شجرةُ النور

(١)

كانت أمي ما تزال تحيا   ارتمى على كتفيها شالٌ داكن
عندما خطر في البدء لي أن أجد نهايتي في قلب
السعادة

جرفني الموتُ   كنور قويٍّ   حيث لا تستطيع أن ترى شيئا
آخر   ولم أرد أن أعرف، لم أرد أن أتعلم ما قد
فعلتْه الروحُ بالعالم

أحيانا   القطةُ التي تسلّقت على كتفي   ثبّتتْ عينيها

الذهبيتين في مكان ما من ورائي وكان أن شعرتُ بانعكاسٍ
ينطلق ناحيتي من الجانب الآخر يشبه داءً عُضَالاً كما
يسمون الحنين
وأحيانا أخرى حينما يمكن سماع درس البيانو من
القاعة السفلى وجبهتي على زجاج النافذة لاحظت
فوق أكوام الحطب البعيدة زخةً من الطيور البيضاء
تنتثر على حاجز الموج وتتحول إلى ضباب

ليس معلوما كيف أن الرجل المظلومَ وأنا نعيش معاً في
داخلي ولكن ربما
تكون الريحُ قد سمعتْ تضرُّعي في مايو البعيد علني أري: مرة
أو مرتين "الكامل" وقد تجلىَّ أمام عينيّ ثم بعدها
لا شيء مرة أخرى

مثل طائر يمكن اقتناصه قبل الغناء عندما يتلاشى مبددا
بالشمس القرمزية وهي تغرب.

(٢)

هبط آخرون وأنا صعدت وسمعتُ وقع أقدامي في
الغرف الخالية شيٌء ما ككنيسة حين يهجرها الرب حتى
أتفه الأشياء يُنْجَزُ بسلام

شخص ما سوف يأتي على أي حال لعله الحب ولكن في الثانية
بعد الظهر حين أطْلَلتُ من نافذتي إذْ بي أصادف شيئاً ما
غاضباً أو منكود الحظ كانت هناك فحسب شجرة النور

في آخر ركن من الفناء وسط الأعشاب المتعفنة

وخُرْدَةِ الحديد   على أيِ حال   حيث لم يَسْقها أحدٌ أبدا
ولكن   قضيت أيامي لاهياً بلعابي   باصقا إياه إلى
أعلى   إلى أن أطاح الربيعُ بالجدران   في ضربة واحدة
فأفلتتْ عارضةُ النافذة
من تحت مِرْفَقَيّ   وبقيتُ منطرحاً في الهواء محدقاً
في انسجام حقيقة الأشياء العينية   المجبولة من الأوراق الملتفّةِ
وكبريت يحمرُّ ناحية الشمس   خمسة   عشرة   مئات
في قبضة المجهول إلى الأبد

مثلنا تماماً   وحتى لو أن الكوارث اصطخبتْ من حولنا   حتى
لو مات الرجال   حتى لو وقعت أهوالُ الحرب   مرسلةً
مرة أخرى من أحشاء "الخروف" الذي لم يمسَسْه شيء
أرهف السمع للحظة ليرى ما إذا كان قادرا على الاحتمال
وأخيرا تقدم   جسوراً في النور   مثل يسوع المسيح
فوقع كل هؤلاء في الحب.

(٣)

فلتنزل اللعنة على البحر في الخارج فقد غدا هادئا (والبيت في الداخل
غدا أكبر) بينما كنتُ ملقى في سريري   ضائعاً   مَمْسوساً
بالصلبان من كل نوع

بأزهار ورجال قد عملوا منذ عيد الميلاد الأول
في منزل العمة فاتانا   بينما كانت تذهب وتجيء في
الغرفة الخالية طول الليل مثل شمعة

وبالعمة ميليسيّني   التي عادت للتو من يوم الدينونة

وأنت تودُّ أن تقول إن شيئا قانياً من العذراء مريم مازال
يغطي شعرها الخفيف
(ياللأسف أسفي الذي لا يمكن الحديث إليه أنتَ مازلتَ
سفينة مغمورة بالقمر الساطع والعزاء الطليق ساحباً
في نومي جزرا عطرية ذات سماء نصف مضاءة أنا

آه رجل عاشق والشيء الوحيد الذي أبحث عنه آه هو
الشيء الوحيد الذي لا أملكه)

انجرفت جُذاذاتُ خشبٍ وتضرَّمَت السعادةُ بهبوب البخور
المحترق على تلال الشرق المتآخم أزين قصر الحريم
بالذهب والحكمةُ منسكبةُ في كأس

لقد أردتُ الأقلَّ فأنزلوا بي العقاب الأشد.

(٤)

لم يعد البيت موجودا الآن في الجزيرة البعيدة حينما
تهب الريح من الجنوب فلن ترى إلا ديرا في
مكانه تواصل السحب ارتفاعها فوقه وفي الأسفل
عند أساساته الغائرة تكسرت المياه الخضراء
ولعقت الجدران بأبوابها الحديدية الثقيلة

طوّفتُ حوله مرارا مضيئا ضوءاً أحمر لكوني
معذبا إلى هذا الحد ووحيدا جدا
استغرق الرهبان هائمين وهم ينشدون ويدرسون
وليس من أحد.

يفتح لي لعلّي أرى مرة أخرى أي الأماكن التي قضيت فيها
طفولتي وفي أي الأماكن عنّفتني أمي وأين
نبتت أول مرة شجرة النور ومن أجل من إن كانت
ما تزال موجودة

اندفع الدخان من مكان ما ربما من نظرة القديس إيزيدور
باعثا رسالته بأن
عذاباتنا مثل ما هي مقدرة وأن ما هو راهن لن

يتبدل آه أين أنتِ الآن يا شجرة نوري المنكودةَ الطالع أين أنت
يا شجرتي الضوئية هَذَيْتُ مع نفسي وجريت
الآن لحظة احتياجي لك الآن
لأني فقدت حتى اسمي

الآن إذ لا يرثي العنادلَ أحدٌ والجميع يكتبون قصائد

دَوْرَةُ فَلَكٍ

الشجاعة: السماء
وأطيارها نحن
هؤلاء الذين لا يشبهون الآخرين

نغمر داخلنا
بحرا من النبات ذا تراب وزرائب هائلة

والشيء الوحيد المتروك في الخارج هو عباد الشمس

ولكن من ذلك الذي يمشي في الشمس
أسود من أثر حدة الشمس

الشجاعة: هذا هو الإنسان
برج الكلب كما يُسمى
ولكن بشعر برج الكلب الأكبر

سهوبٌ بِكْرٌ هبوبُ رياحٍ على رعاة يونيو
نُصعِّدُ بصعوبة فوق أرض كستنائية متشققة
ظامئين لقليل من إشراقة نورٍ كنور صخرةِ التجلّي في طبريّة

ولكن ما هذا الذي يعبر مقتربا من الأرض وهو يرتجف
كأنه أنفاس عالم آخر يجيء

الشجاعة: هذا هو الموت
على الخشخاش الممتد
وفوق أعواد البابونج الضامرة.

حديقةُ اليدِ المتشقّقة

كيفما تناولت الأمر فإنني قد خسرتُ الرهان هنا على الحافّة البعيدة
حيث وضعتْني كوارثُ العالم أردت أن أحاول
وثبةً أسرعَ من الانحلال

وإذ برأسي في الأسفل وقدماي أعلى أهوي في الهواء
ناضلت كي أتحرر من ثقلي كانت العاطفة التي تدفعني

إلى أعلى قد انقلبتْ داخلي بعنف فوجدتُ نفسي
أنزلق وأتحرك مرة أخرى في حديقة تزخر بالحصباء البيضاء
وزرقة المنتول الشفافة

تقدمت بحيوية شديدة محطما مفاتيح المياه حتى
أرى أين تعلو النجوم ميكا وكزينيا ومانيو تعلو
وتهبط بفانوس مضاء في انتفاخات أشرعتها
اَلْتَصَقَ صمغ المصطكى بشعرها و مرة هنا ومرة هناك
وفراشة زاهية ما تزال في منتصف خروجها من الشرنقة
تبذل أقصى جهدها
لتخلّص ذاتها وعلى العلامات المتروكة بجوار شجرة الدّلب
بخطاها الواسعة مازلتَ تستطيع تمييزَ آثار
لغز الإنسان الأول
أيها الفتى الذي عانى كثيرا تذكر أن المراكب ذات المجاذيف
الثلاثة
قد أقلعت محتشدة بالبشر ذوي العيون الوحشية في تلك
الانعكاسات الصباحية على البرونز تلويحات الرجال المسنين
وصيحاتهم
إياي إيا تا تا ي وهم يدقون القرميد بعصيّهم الخشبية

ولكن أي أزهار رفعتها العواصف! وأي جبال خفيفة الحمل هي
الليالي الهائلة للقمر! الحصان الذي جمح بك إلى
حافة كل الحواف وبعد ذلك البيت المختبئ
بين الأشجار أقول تذكر إذن ثقل القلب والرأس
الجميل الذي رفعته كالكأس كي تقبله بين الياسمين المفوَّف
بالبياض

واحتفظ في عقلك   احتفظ دائما في عقلك   هل تسمعني
بالآهة المنبعثة من المجزرة   الآهة المنبعثة من الحب)

ساقطت الأشجار عَجْرَها الأخضر   وسقط إشعاع ذهبيٌّ
على عنب الثعلب   فاكهة محفوظة في الثلج ذابت وفاحت برائحة
غريبة

من أعلى إلى أسفل   هكذا أوْجعني النعيم   ولكنني
التمستُ السبيلَ لأعيش مرة أخرى مصيري المعكوسَ كله

وعندما أزحت فكري إلى الوراء كفزع عصفور   ومثلما
غيرَّ الألوان في الماء   مرتعشا أو متموجاً أو شفافاً
وصلت فجأة إلى قرار حكيم   حينما ارتفعت الشمس

انبسط الأثير كالأشعة   وسمعت أربعة الأنهار الشهيرة
تتحدَّر نحو الأرض بأسماء   سَيْحون   جَيْحون
دجلة   الفرات

أيتها الشمس   يا شمسي   يا شمسي أنا   خذي كل ما
أملك   خذيه كله   واتركي
لي   اتركي لي   الكبرياء   حتى لا أذْرِفَ دمعةً واحدة   لعلّي
ألمسك فحسب حتى لو أحترق   صرختُ ومددتُ يدي
ذَوّت الحديقة   وابتلعها التيار بأسنانه القوية
كأنها لوزة

وبقيت منتصبَ القامة مرة أخرى... بيد متسلّخةٍ   هنا عند
الحافّة رمتْ بي الكوارث   لأناضل بالرفض

وبالمستحيل في هذا العالم.

مالايمكن عملُه

آه لو كان لوحشة الغُربة جسدٌ لأتمكن من الإطاحة به
من النافذة! عساي أنتزع ما لايمكن عمله! فتاة
أنقذني الله من صدرها العريان مرةً كأنه انتشلني للحياة
بطوق نجاة

وأخذني عاليا فوق القمر نصف المكتمل الذي يعلو الجدران
التي أقامتها حماقاتي
يجب عليك ألا تنكشف فتطيح بك الأقدار إذ أنها
في الحقيقة قد حاقت بك لأنه هكذا تكون الأشياء التي
تعشقها الحياة وتريدها مع أننا نعتقد أنها
كائنة في مكان آخر

ومن الجانب الآخر للحب ومن الجانب الآخر للموت
نحن نمشي في نومنا حتى يغدو ماصار لحما من لحم
جسدِنا مُعْتَصَراً الآن بما يفوق االإحتمال مندلعاً
بالنار داخلنا كالفسفور ثم نستيقظ

الزمن يتدفق في خط مستقيم أجل ولكن الحب يمضي عمودياً
وهما ينقسمان أو لا يتقابلان ولكن ما يبقى
إنما يشبه
رملا تتركه الريح القوية في الغرف والعنكبوت.. وفي الخارج

على العتبة
الذئب ذو الحدَقَةِ المدوَّرة يعْوي.... كل ذلك يبدو ممكنا
جبال كريت تعلو كل شيء   تلك المغطاة بالثلج كانت جبالي
وأنا صبي   ووحدتها مرة أخرى في صقيعها
ولكن ماذا يهم
إذا كنت حرا أحيانا   ومنتصرا أحيانا   لأن الشمس
سوف تغرب مرة أخرى ويبقى كل ما حولك
في هدأة عامرة بالشواطئ المخربة   حيث تظل السحب
تسفُّ لتأكل عشبا   هنيهةً قبل أن تظلم للأبد

بينما يكون الرجال قد بلغوا النهاية   ولا شيء له أي أهمية
قد بقي ليقال.

المونُوغْرامْ

"سوف أتفجَّع دائماً- هل تسمعينني؟-
من أجلك وحدكِ في الفردوس."

-١-

مثلَ المتَحكّمِ في مسار القطارات سوف تكون نوايا القدر
في تحويل خطوط أكفّنا إلى حظوظ أخرى
وسوف يرضخ الزمن لوهلة

كيف لا، مادام البشر يحبون بعضهم البعض؟

حينئذ سوف نلقى جزاء مشاعرنا في السماء
والبراءةُ سوف تجتاح العالم
بحدَّةِ الموت المظلم بينما أنا

-٢-

سوف أندُبُ الشمسَ وأندب كل سنوات المستقبلَ
بينما نحن لسنا هنا، وسوف أغني كل الأشياء الأخرى
التي تختفي
إن كانت حقيقية

أجسادٌ في تناغم وزوارقُ تتقابل بعذوبة
غيتاراتٌ تحت الماء تتناوح وتعزف
الـ "صدقني" والـ "لاتفعل"
مرة في الهواء ومرة أخرى في الموسيقي

ويدانا، هاتان المتوحشتان الصغيرتان اللتان تنتظران
ثم تتحسس إحداهما الأخرى في السر
الريحان في الأصص على البوابة المفتوحة للبهو
ورشاش البحر يلاحقنا ونحن نصعد

وراء السياج وفوق الجدار الحجري الجاف
واحدة من شقائق النعمان تستكين على يدنا بينما
يخفق لونها البنفسجي ثلاث مرات في ثلاثة أيام
فوق الشلال

إذا كانت هذه الأشياء حقيقية فإنني أغني
عن الصنادل الشعبية المنسوجة والقرن الخشبي
للغُرغونةِ المعلّقة على الحائط بشعرها المتطاير
والقطة التي ترقبنا هناك
صبي برائحة بخورك وصليبك القرمزي
حين يظلم الليل فوق الصخور البعيدة التي لا تُطال، أبكي
الزمن
حينما لا مستُ ثوباً فغدا العالُم كلُّه ملكي

-٣-

هكذا أتكلم عنكِ وعني

لأنني أحبك وأعرف لكوني عاشقاً كيف أدخل

كبدر التمام من كل مكان وأن أعثر على قدميك الدقيقتين
تحت ملاءة السرير الوسيعة
وكيف أقطف بتلات زهرة الياسمين- لأنني أملك
القدرة
على المجيء وأنت نائمة وأفاجئك وأنتزعك بعيدا
إلى الممرات المبتلّة بالقمر ودهاليز البحر السرية
وإلى الأشجار المبتلّة المنوَّمة بخيوط العنكبوت بوهجها الفضي
لقد سمعتْ الأمواج
كيف تحسنين التدليل وكيف تجيدين التّقْبيل
كيف تقولين الـ "ماذا" والـ "آه" في غمغماتٍ
حول مدخل الخليج في اندياحه
نحن دائماً الضوء والظل
دائماً أنت النجمة الصغيرة وأنا السفينةُ المطفأةُ في الليل
دائماً أنت الميناء الصغير وأنا الفانوس المثبّت على يمناك
حاجزُ الأمواج المبتلّ والتماعُ المجاديف
عاليا في البيت بعرائش قطيفته
شجيراتُ الورد المسيَّجَّة والمياه الباردة
دائما أنت تمثالُ الحجر ودائما أنا ظلّه الممدود
مزلاجُ الشباكِ أنتِ وأنا الريح التي تفتحه
على المروج
لأنني أحبك وأنت في العشق تقلبين
وجه العملة التي هي أنتِ دائما لأنني أنا الهُيامُ
الذي يهتدي إليك:
في أشد ما تكون ظلمةُ الليل وأقوى ما يكون زفيفُ الريح
وأدق ما تكون قطرة الماء في الهواء وأهدأ ما يكون السكون
ومن حولنا عنفوان البحر يصطخب
قبة السماء المليئة بالنجوم

أضيق ما تكون عن أهون أنفاسك

لأنني لا أملك الآن شيئا أكثر
بين الجدران الأربعة السقف أرضية الغرفة
لأستصرخه لأنك مثل صوتي تَنْقَضِّين عليّ
لأتشمّمكِ بينما الرجال ينكمشون من الرعب
لأن الجنس البشري لا يُطيق شيئا مما ليس مجرَّباً
أو مجتلباً من مكان آخر وهو طازج هل تسمعينني
إن حبي ما يزال قبل الأوان في هذا العالم
حتى أتكلم عنكِ وعني.

-٤-

إنه ما يزال مبكرا جدا في هذا العالم هل تسمعينني
المشوَّهون لما يُروّضوا بعدُ هل تسمعينني
دمي الضائعُ والسكينُ المشحوذةُ
هل تسمعينني
المارقة بين السماوات كالقذيفة
محطمةً أغصانَ النجوم هل تسمعينني
إنه أنا هل تسمعينني
أتشبث بك وأقودُك وأُلبسكِ
عباءةَ زفافِ أوفيلْيا البيضاءَ هل تسمعينني
أين تتركينني وأين تذهبين ومن هل تسمعينني
يتشبث بيدك فوق الطوفان

سوف يأتي ذلك اليوم هل تسمعينني

مادة البركان المنصهرة والعرائش المدارية الهائلة
سوف تدفننا لحظتها وآلاف السنين بعدها
هل تسمعينني
سوف تحولنا إلى حفريات مبهرة هل تسمعينني
لعلَّ معاناةَ قلبِ الإنسان هل تسمعينني
تومض فوقها
وتمزقنا ألف قطعةٍ هل تسمعينني

في المياه هل تسمعينني
أحصي حصواتي واحدة واحدة هل تسمعينني
والزمن كنيسة هائلة هل تسمعينني
حيث عيون القديسين من وقت إلى آخر
هل تسمعينني
تفيض بدموع حقيقية هل تسمعينني
والأجراس في أجواز الفضاء هل تسمعينني
تفتح الدروب العميقة التي قد أمر عبرها
حيث الملائكة تنتظرني بالشموع والتراتيل الجنائزية
إنني لن أذهب إلى أي مكان هل تسمعينني
إما لا أحد وحده وإما نحن الإثنين معاً هل تسمعينني
هذه وردة عاصفة الرعد هل تسمعينني
وعاصفةِ الحب
التي قطفناها مرةً وإلى الأبد هل تسمعينني
ولن تستطيع التبرْعُمَ بأي طريقة أخرى هل تسمعينني
ولا في أي أرض أخرى أو أي نجم آخر هل تسمعينني
تلك الروح لا توجد ذلك الهواء لا يوجد
فقد تلامسنا نحن أنفسنا ذات مرة هل تسمعينني
وليس من بستاني كان محظوظاً إلى هذا الحد في الماضي

هل تسمعينني
بعد شتاءات عديدة ورياح عاتية عديدة هل تسمعينني
من أجل أن تتبرعم زهرةً واحدةً ولكننا فحسب
هل تسمعينني

في وسط البحر
من لهفة الحب وحدها هل تسمعينني
قد أنشأنا جزيرةً كاملة هل تسمعينني
ذاتَ كهوفٍ ووهادٍ وقممٍ مزهرةٍ
أنصتي- أنصتي
من الذي يكلم المياه من الذي يبكي- هل تسمعينني
من ذا يحاول أن يعثر على الآخر الذي يصيح- هل تسمعينني
إنه أنا من يتكلم، إنه أن من يبكي، هل تسمعينني
أحبك أحبك هل تسمعينني

-٥-

لقد تكلمت لك وعنك في أزمنة سحيقة
مع المتمردين القدامى المغاوير والساخطين الذين
ازدادوا حكمة عن مكان نالك فيه حزن حيوانٍ متوحش
يتبدى على سيماء وجهك كانعكاسات الماء المترجرج
عن سبب ما جعلني مرغما على أن ألوذ بك في نهاية المطاف
أنا الذي لم يطلب الحب أبدا بل جناح الريح فحسب
وصهوة البحر وهو يشرئب في خببه فحسب

ولكن أحدا لم يسمع عنك
لا القرنفل ولا عش الغراب

لا شيء في المرتفعات يصل من كريت
من أجلك فحسب قَبِلَ الربُّ أن يقود يدي الخلاقة

في أزمنة هنا وهناك في كل انحناءة أو ثَنيَّةٍ
من سواحل الواجهة، حول الخليج والشَّعرُ
يتماوج نحو اليسار في هواء التل العالي
جسدك في هيئة استسلام الصنوبرة المتوحدة
عينان من الكبرياء والشفافية
وسط البيت. خوانه القديم
وزخارفه الصفراء وخشبه السرو
وحيدا، ينتظر ليرى أين ستظهرين أولاً
عاليا فوق شرفة السطح أم بعيدا إلى الوراء في مكان البهو
بحصان القديس جورج وتعجُّلِ القيامة

كما لو كنت طالعة من لوحة جدارية مخرَّبة
كبيرةً كما أرادتك الحياة الصغيرةُ أن تكوني
جئت كي تماثلي في لهب الشمعة وهج البركان القاصف

أنت من النساء واحدة لم يسمع بها أو يرها أحد أبدا
لاشيء في البراري أو البيوت المتهدمة
لا الأسلاف المدفونون في نهاية البهو المسقوف
ولا الساحرة العجوز بعشبها السحري

ربما كنتُ الوحيدَ الذي عرفكِ أو تلك الموسيقى
التي أصدح بها من داخلي وإن كانت ترتد إليّ بنغم أقوى
أعرف منك فحسب الصدر اليافع الذي لم ينهدْ بأعوامه
الاثني عشر كما عرفته فيما بعد

وهو يتجه إلى المستقبل بكأسه المتورِّدة
أعرف منك فحسب الشذا النفّاذَ الذي يشبه الشوكة
التي تطعن الجسد وتخترق صميم الذاكرة
فها هنا ترابنا حمائمنا وأرضنا القديمة قد كانت دائما.

-٦-

لقد رأيت الكثير، والأرض في عقلي تبدو أكثر جمالا
الحجر المسنون أكثر جمالا
مياه البرزخ الزرقاء المعتمة والأسطح أعلى
من الأمواج التي تتطاول
أكثر جمالا من أشعة الشمس التي تدْرُجين عليها
دون لمسة قدم
غير مرئية فوق جبال البحر مثل إلهة ساموثراس

لقد حَدَّقْتُ فيك طويلا حتى ليكفيني الآن
أن يُدانَ الزمنُ كله مثلما أدين حبي البريء
هناك في اليقظة يترك عبورُك وراءَه
ما يشبه دولفيناً ساذجاً على روحي أن تفتش
عنه وتجده
لأتبعه، لاهياً ببياضه وزرقته
النصر، النصر الذي قد هُزِمْتُ به أيضا
قبل أن يُقبلَ الحب والآن نحن في حبناَ معاَ
نتبع زهرة العاطفة وشجرة السنط
نمضي، نفتش، نمضي حتى لو ضعتُ إلى الأبد
إنني وحيد وإن الشمس التي تملكينها وليدةٌ جديدةٌ

إنني وحدي وإن أكن الأبَ الذي يجب عليه أن يبكي
ولعل ورقة شجرة الدفلى تغدو الكلمة المتاحة لأرسلها
الريح القوية وحيدةً ووحيدٌ كل ما حولي
الحصى الذي يومض الآن في ظلمة أعماق القاع
الصياد الفتى الذي ينصب الشباك لفردوسه
ثم ينتشله خلال القرون

-٧-

لقد رسمت خريطةً لجزيرة في الفردوس
تماثلكِ ومنزلاً بجوار البحر

ذا سرير كبير وباب صغير
وقد أطلقت صوتا إلى أعماق البحر التي لا قاع لها
لأنظر إلى نفسي كل صباح حينما أستيقظ

وأرى نصفَكِ وهو يمضي فوق الأرض المائية
بينما أبكي نصفك الآخر في الفردوس.

الشمسُ المهيْمِنَة

"راوية – الشمس – رياح – فتاة –
جوقة من الرجال – جوقة من
النساء – مغنون"

سيادة الشمس

الراوية:

قرص* الشمس قرص الشمس صاحب السيادة قرص الشمس
من بين كل لاعبي الحجر هو البطل

وراء شفير العالم وحافّته القصوى
فوق "تنيدوس" يجب أن يغرب ويغيب

لحيتُه مجدولةٌ من النار واللهيب
ومذاريه ** من الأسلاك الذهبية

قرص الشمس:

فلْتقْبِلي أيتها الشواطئ ولتقبلي أيتها البحار
وأنت أيتها الكروم وأشجار الزيتون الذهبية

أثناء ساعات ظهيرتي
أقبلي واسمعي بياني
"لايهم بأي أرض
أطوف أو أيها أحب
فأنا مفتون بهذه الأرض"

من بين جميع السفوح البعيدة
إلى قلب جميع الوِهاد العميقة

---

* أضفنا كلمة "قرص" إلى الشمس حتى يستقيم استخدام الضمائر في القصيدة لأن الشمس في اللغات الأوربية اسم مذكر
** جمع مذراة

تنتشر حقول المحاصيل القرمزية الصفراء
الزمرد وأرض البَرِّ الذي لا يُحد
"لا يهم بأي أرض أطوف وأيها أحب
فأنا مفتون بهذه الأرض"

بفتيانها المشرَّدين الصغار الممسوسين
وقد ركبوا ظهر الدولفين منفرجي السيقان

بفتياتها الصغيرات على الشواطئ كلها
وهن ملَوَّحات نحيفات عاريات على الرمل

بكل ضائعيها المعتوهين
وكل مغروريها العابثين بالكتابة على الثرى عبثا

جوقة من النساء:

لأننا ياصديقي لانملك خبزا
فإن مثل هذه الأشياء تستعصي على الفهم

لقد قاتلونا سنوات عديدة بلا هوادة
فلم نكن نملك وقتا لنلتقط الأنفاس أو نضمد الجراح

امرأة:

لقد فرت الطيور وهاجرت إلى مكان آخر
لذلك فإنني على هذا الشاطئ المطحون بالموج

حاولت أن أبني بيتي وملاذي

ولم يكن ليقوم على الرمل والزبد.

الجميع معا:

ما بنيناه بالفرح في أشهر أربعة
كان علينا أن نهدمه في ثمانية أشهر بطيئة

وكل شجرة زيتون بالغة
تقيم أَوَدَ أسرةٍ كاملة.

امراة:

أية أحلام سرية جميلة حلمتُ
عن جميع الأطفال الذين سأُنْجِبهُم

من كان سيظن من كان سيقول
إنهم جميعاً أُرسلوا حتى يُقْتَلوا بعد ذلك.

الجميع معا:

ذهب البعض ليقاتل على السفن في البحر
والبعض ذهب ليقاتل لتحرير الجبال

كلٌّ بقميصه الكاكي ولكن آه
لعناتي على كلٍّ من العدو والصديق!

الراوي:

سمع قرص الشمس وأصابه الهلع
فألقى بأشعته القرمزية

وأضرم النار في غابات الجبال .
وفي كل الهضاب المجاورة

قرص الشمس:

مرحى، ما كل هذه الوقاحة
فلتقبل رياحي جميعا من البر والبحر

الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية، وكل من
تأتمر بأمري
تعالين مسرعات لتقدمن تقريركن

الريح الأولى:

إنني أدفع السفن إذا شئت، وأسحبها لو رغبت
إنني أفصل بين جبلين، ثم أندفع في سياحة بعيدة
أدخل في شئون العشق، وسرعان ما يصيبني الإعياء
وحينما أنبَّأ بأسرار العشاق، فإنني أرتبك

إنني أبعث بالأخبار إلى الجميع، وأعترف لكل إنسان
أن عقل الإنسان يتشتت، ثم يغمره الأسى.

الريح الثانية:

فلتنزل اللعنةُ في هذه الساعة المريرة، عل من
توَجَّب عليه
أن يباركَ ما هو في الجانب الخطأ، ثم يدعوه صوابا

إنك لا تسمعه أبدا يذكر ما يُثقل كاهلَ الإنسان الضعيف
بل يقلب النهارَ ليلاً، ثم يقُسم أنه حق.

حيثما كان هناك بابٌ كبير، فسوف تجده وراءَه
ثم تجد أنه قد ارتحلَ، حينما تفتحه

الريح الثالثة:

يا حقول قمح سالونيك، ويا جبال مورياس
أين قلاعك المحاصرة، أين قراك؟
انظري إلى قمرك المشطور الشاحب وهو يبحر الآن في الهواء
انظري إلى الفتاة المحبوبة، وهل لي أن أفرح بها!

إنها تشُبُّ يوم الاثنين، وفي الثلاثاء تذهب إلى الحرب
ويوم الأربعاء تركع، وفي الخميس تفنى.

الريح الرابعة:

أيتها الطرق المزيَّنةُ المطروقة، أيتها الطرق التي
لم تُزَيَّنْ قط
من الذي اجتاز مسافتها، ومن الذي لم يخْط بها أبدا؟

ولكن الذين سلكوا هذه الطرق وخَوّضوا عميقاً في الدم
لا الربُّ ولا الإنسان بقادرٍ على إيقافهم عن إصرارهم

أيتها الخلائق الفقيرة البائسة، لقد غدوتِ مَحْشُوَّةً بالأكاذيب
كل حمقى العالم الأغبياء قد تجمهروا الآن!

الراوي:

طافحاً بالشك والشكوى
يدور العالم ثلاث مرات في قدره المحتوم

في منتصف الليل والسماء ورائعة النهار
كل الغرف مفتوحة على اتساعها

على أرض الجرن وبوابة فناء المزرعة
تنظر الأرواح المستبصرة وتنتظر

على وميض جمرات نجمة
تأتي بشعرها المتطاير وتحرقه

ثم تستوقف أصغر ملاك
مرتبك لتلعب معه لعبة خطاياها ولعناتها

يا عزيزي لقد غدوت شرسا جدا وكئيبا
ولما تصعق العالم بعد

وتقول له إن كلا من أسودك وأبيضك
قد عصفت به كل ريح في مدى البصر

وفتاة صغيرة بنت تسع سنوات
تغني على هوى كل إنسان

فتاة:

اثنان لك وثلاثة لي
لعبة من خمسة أحجار خضراء أمامك

أدخل خلال عرائش الحديقة

كيف هي صحتك ياآنسة أماريلليس؟

برَكُ المياه وقنواتُ الينابيع
وجميع أحلامي المشتتة!

تقافز الآن يا جُنْدبُي وتنطنط
واغزل الغزْل بالمغزل السريع

إن كان لليمين فسأحْجِل بشقاوة
وسأضرب شجرة الرمان

إن كان للشمال فسأحْجل وأطارد
وسأقع بين شجيرات الفريز

سأحتجز عددا من النحل الطّنان في يدٍ
حتى أراه متهيّجا

وباليد الأخرى أصطاد
فراشة كبيرةً لدّاغة.

كورس:

تبعثر الحصى في أصفى ماء
أهذا هو ما غاصت الفتاة طويلا من لهفتها عليه

الدوائر تنفتح حلقة بعد حلقة
حينئذ يكتمل شكلُكَ كله

الجبلُ زهريَّةٌ تنتصب عاليا
بأزهار جيرانيوم السماء الذهبية

ياقرص الشمس يا شمس ثلاث مراتٍ يا شمسي
ابعثي لي بكلمة، ولو بكلمة واحدة.

الرياح:

فلتقبلوا الآن ولتسمعونا نحن أيضا، يا من رجعتم
من الجزر والمدن التي عرفناها وخبرناها

من كريت وميتيليني، من ساموس وإيكاريا
من ناكوس وسانتوريني، من رودس وكيركيرا

من البيوت الكبيرة والمدهونة، البيوت تنغل بالهمهمة
والدندنة
وقد جثمت عاليا فوق المياه، وأطلت على الصخر السحيق
المعتم
كسانتي وسالونيك وفيريا وكاستوريا
يانينا وميسولونجي واسبارطة وميسترا

ذات أبراج النواقيس والأسطح في السماوات المضبَّبة
التي تجمع بين الندم والفردوس.

قرص الشمس:

لم أشهد أرضا غريبة أو جميلة هكذا
مثل هذه الأرض التي صادف أن جعلها القدرُ
وطنَ أبي

إنه يطرح شبكة لصيد السمك، ويُرسي السفن على البر
ويمسك بالطيور من الجناح، ويزرع الحدائق على الشط

يقبِّل الأرض ويبكي، ثم يبحر إلى البلاد البعيدة
ويظل دائما بين المفارقِ الخمسة، ويبلغ رجولته هناك

يلتقط حجراً كيفما اتفق، ثم يُلقيه ويتركه كما هو
ولكن حين يقطعه وينحته، فأي شكلٍ مدهش مذهل

يضع قدمه على طَوفٍ صغير، ثم يبحر في عُرض البحر
يذهب باحثا عن الثوار، الجائعين للاستبداد

يمنح لحظة الميلاد لخمسة من عظماء الرجال، ولكنه
يسمُهم بالأسود والأزرق
ثم يطلق هتافات الحماس والخلاص المؤزَّر
ويمجد الجماهير.

جوقة من الرجال:

ليس من شيء يشتهيه الإنسان أكثر
من أن يكون مطمئنا وبريئا

قليلٌ من الخبز وقليل من النبيذ
في عيد الميلاد وعيد القيامة

حيثما استطاع بنى مأواه
حيث لا يُقلق أحدُ راحته.

ولكن كل شيء قد ضاع بدَدَاً
فقد أقلقوا نومَه في انبلاج الفجر

ثم جاءوا به وسحلوه من مكان لمكان
أكلوا ما كان يملك من طعام شحيحٍ.. فيا عجبا

إنهم ينتزعون لقمتَه من فمه
في ساعة نحس

ويختطفون من نظرته لحظةَ الفرح العظيم
مرحى مرحى هتافٌ يعلو لمن هم في أوج القوة!

جوقة من النساء:

مرحى مرحى لمن يملكون القوة
فإن عليهم أن يلتهموا كل ما يروْنَه.

الراوي:

قرص الشمس قرص الشمس سيدنا المهيمن قرص الشمس
هو البطل بين جميع لاعبي الحجر

ما يكاد يفتح فمه قليلا
من أجل عبير الربيع

حتى ينطلق كل طائر في الإنشاد
وتخُور الأبقارُ طول النهار

وتهب الريح كلها إلى أقصى

علوها مليئة بكثير من الحدآت الملونة

قرص الشمس:

ماذا يمكن أن أقول لكُنَّ أيتها النساء وماذا لا يمكن قوله
عن الحقيقة والسلوان، وماذا لا يُخجلني بعدُ أن أقول؟

حَسْبي أن أسْمَعَكُنَّ مراتٍ مُغْرقاتٍ في الحزن ومقهوراتٍ
حتى أجْنَحَ حينئذ للظلام أو أختبئَ وراءَ سحابة

ولكنني بفضْل الله أنْتِفشُ أحيانا وأتَبَخْتَر بزهو
ألبس ملابسي القرمزيَّةَ وأتمشّى وأسوق خطاي

نازلاً إلى الأرض ذاتها حيث تتواشجُ الجذور
حيث تدير الأزهارُ وجهها إليّ وتَتَلَقّحُ بي

حتى العقاقير السحريةُ التي تشفي وجميعُ الأشكال
الفاتنة للعُقَدِ المحبوكة في السر بالسموم.

أخاف الضوء الذي أحملهُ معي، وأخاف الحب ذاته
فمن أجلهما، حتى أنا الشمس، عليَّ أن أدفع الأغلى

كل ملاءة العالم القذرة، كل وحله وهشاشته
يطويها الزمن في داخلي إلى آخر الدهر

وعندما أتدلى عاليا فوق بَركِ المياه
وعندما أرحل بعيدا بين جبال تار تاروس الدامسة

فإنني أضع الطغاةَ الجلادين القتلةَ والسفّاحين
تحت حجر الطاحونة من أجل أعوامنا القادمة

إنني أطحنُهم وأنْخلُهم وأترجَّل فوق الأرض
تلك التي وهبتْنا هذا الظلامَ الدامس، لأتجرعهم كالضوء

استمسكي بالشجاعة يا حمائمي ياأزهاري من شقائق النعمان
يا جميلاتي يارفاقي وياأحبّائي

حيثما تُغْزَلُ الظلمةُ والقتامةُ وتُنْسَجُ طول اليوم
تحوَّلوا إلى شموس صغيرةٍ صغيرةٍ، ياأعزائي ودُورُوا بعيدا

فالشر ذاتُه يتمَّخض عن اليوم المبارَك
وكل سكة ضيقة سوف تُفْضي إلى الطرق الواسعة

وهناك بالتأكيد في كلِّ من الظلام والخراب
ذكرى تمدُّ جذورَها عميقاً في نفْح الأريج

تجذَّرْ أيها الجذرُ المريرُ وأنت ياربيعي السري
امنحنا الآن من كبريائك وخَلِّصْنا من وخْزِ الألم

على جميع النوافذ من كل حجر في كل بيت
أشجارُ الفريز وأوراقُ الغار وجريدُ النخل

دارتْ أيديهم بالنبيذ الأحمر حول المائدة
بحارةٌ صغار وكبار وكهول جلسوا يأكلون.

أشْعِلوا حماسَكم، وخذوا مانْدولينَكم
وانْهمكوا في أحاديثكم الذهبية، وارفعوا دُفوُفَكم

ودعوا الأغنية تبدأ، ودعوا الحنين ينكشف
حتى يأخذ العقل والفكر كلاهما ويعطي من الفردوس.
ماذا عن "خذ" وعن "كَرَم" وعن "فَيّاض"
فـإن جميع خطايا الأرض تسقط في ا ل غ ف ر ا ن.

المركبة الملْتاثة

مركبة مزيَّنَةٌ مكدَّسة تبحر إلى الجبال.. آه
وهناك تبدأ المناوراتِ صعودا وهبوطا

تُوازن المرساةَ بغابةِ صنوبر وتحمل على متْنها
حمولةً من هواء الجبل الطازج في حماها وفي الميناء

إنها مصنوعة من أشد الأحجار سواداً، إنها مَجْبوُلَةٌ من
تخاليط الحلم
ربّانُها معتوه، وكذلك وجهةُ بحارتها وخرائطهُم

لقد جاءت من أعماق الأزمنة السحيقة الغابرة
وهي تُفْرِغُ هنا حمولةَ اضطراباتها وتَنهُّداتِها المرتعشة.

أقبلْ ياسيدي يايسوع، إنني أتكلم وأنا مخبولٌ
فوق مركبة ملْتاثةٍ كهذه، وخداعٍ معتوهٍ كهذا

لقد أبحرنا أعواما مضت، ومازلنا نطفو على غير هدى
لقد استبدلنا ألف ربان على هذه المركبة المخبولة

إننا لم نُعرْ الطوفانَ أدنى التفات
بل اندفعنا للغرق في كل شيء بالأمانيِّ الخُلَّب

وعالياً فوق صاري المراقبة أقمنا واحداً للحراسة
هو الذي ظل دائما وفي أي وقت شمسَنا شمسَنا المهيمنة!

المحتويات

مطابع انترناشيونال برس ت : ٣٤٧٤٢٥٩

صدر حديثاً في هذه السلسلة

البحث عن الزمن المفقود / مارسل بروست
ت : إلياس بديوي

جانب منازل سوان
في ظلال ربيع الفتيات
جانب منازل غرمانت
صادوم وعامورة

البحر والسم / شوساكو إندو
ت : كامل يوسف حسين

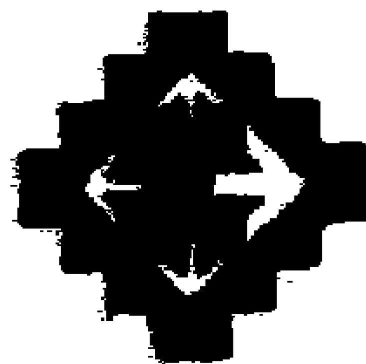
البطء / ميلان كونديرا
ت : طلعت الشايب

اغتيالات للذكرى / ديديه ديناكس
ت: راوية صادق

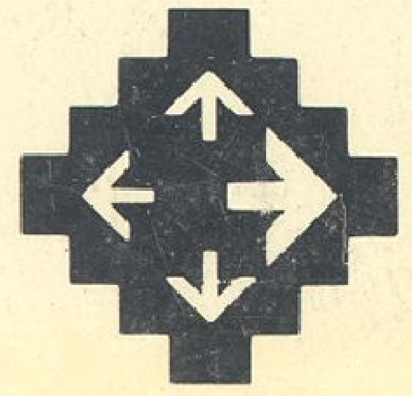
الربيع وفصول أخرى / لوكليزيو
ت : أ. د. محمد برادة

أسير عاشق / جان جينيه
ت : كاظم جهاد

مختارات من الشعر الأمريكي المعاصر (٤٥ - ١٩٩٥)
ت : د. حسن حلمي



دار شرقيات للنشر والتوزيع



نهارٌ ساطعٌ، محارة الصوت التي أبدعتْني
عارياً، كي أتمشّى طوال نهاراتِ الأحد .
في صيْحة الشواطئ بالترحيب
يهبُّ أولُ ما عرف من الريح
يمتدُّ مَرْجٌ أخضر أليف
لعل الشمس تدحْرِجُ رأسَها فوقه
وتشعل بشفتيها أزهارَ الخشْخاش
أزهارَ الخشخاش التي سيقْطفها الرجالُ المتغطرسون
ربما لن تكون هناك علامةُ أخرى على صدورهم العارية
إلا احتدام الدم بفَوَران الكبرياء الباعثةِ للأسى
الموغلةِ بعيداً بُعْدَ ذاكرةِ الحرية

تكلمتُ عن الحب، عن نضارة الوردة، عن شعاع الشمس
الوحيد الذي يجد طريقه المستقيم للقلب
عن اليونان التي تمخر البحرَ برسوخ
اليونان التي تأخذني دائما في أسفارٍ
إلى عَرَاءِ جبالٍ من بهاء الثلج.

أَهَبُ نفسي للعدل
للينابيع الصافية، للربيع على قمة الجبل
سمائي عميقةُ ولا تتغير
كلُّ ما أحببتُه يولَدُ بلا انقطاع
ودائما كل ما أحببتُه في بدايته.